

صَلَّى الْمَنبَرِ

٣

مكتبة التوبة، ١٤٣٠هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصغير، فالح محمد فالح

صدى المنبر / فالح محمد فالح الصغير - الرياض، ١٤٣١ هـ

٣ مج.

ردمك: ٥-٣-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٦-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٣)

١- خطبة الجمعة، ٢- الخطب الدينية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ٨٩٢٢ / ١٤٣١

رقم الإيداع: ٨٩٢٢ / ١٤٣١

ردمك: ٥-٣-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٦-٩٠١٧٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م

المملكة العربية السعودية، الرياض

للاستفسار / ٠٥٠٦٤٣٠٤٥٧

مكتبة التوبة



الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف: ٤٧٦٣٤٢١ فاكس: ٤٧٧٤٨٦٢ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

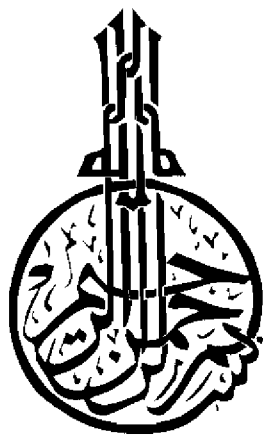
صَلَاةُ الْمُنِيرِ

إِعْدَادُ

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير

للمجموعة الثالثة

مكتبة التوبة



مقدمة الجزء الثالث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فهذا هو الجزء الثالث من سلسلة الخطب المنبرية التي ألقيتها في عدد من الجوامع في مدينة الرياض.

وقد سرت فيه على المنهج نفسه في الجزء الأول من عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، وغيرها.

فيعتبر هذا الجزء مكملًا للجزء الأول ثم الثاني. فموضوعات الخطب غير مكررة، أما ما كان مكرراً أو متقارباً فهذا لم أوردته مكتفياً بما ذكر في الجزء الأول و الجزء الثاني وبخاصة خطب المناسبات الزمانية مثل رمضان، والحج ، وكذا ما يتعلق ببعض الأحكام فأكتفي بما سبق، لأجل ألا يتكرر، والواقع أنه يغني عنه ما يماثله، أما ما ارتبط بحدث معين فأنا أوردته لاختلاف مناسبات الأحداث سواء كانت أحداثاً كونية قدرية، أو نوازل تحتاج إلى بيان وتوضيح.

أسأل الله تعالى أن تكون نافعة، وما كان فيها من صواب فهو من الله تعالى وأسأله المثوبة عليه، وما كان غير ذلك فأسأل الله العفو والمغفرة إنه عفو غفور، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: أ.د فالح بن محمد بن فالح الصغير

البريد الإلكتروني: falehmalsgair @ yahoo.ocm

www.alssunnah.com

التوحيد وتطبيقه العملي

الخطبة الأولى

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه،
أحمده سبحانه وأشكره ، من توكل عليه كفاه، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله اصطفاه ربه
واجتباه، وقربه إليه وأدناه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعد: عباد الله ! اتقوا الله، فمن اتقى الله حفظه، ويسر له أمره،
وهداه إلى رشده، وأحسن عاقبته، وأفلح في دنياه وآخرته.

أيها المسلمون!

لحكمة بالغة، وغاية عظمى يسعى لتحقيقها الطالبون، ويتنافسون
في نيلها المتنافسون، خلق الله سبحانه وتعالى الخليقة، وأوجدهم في
هذه الحياة، وأرسل لهم رسلاً مبشرين، منذرين؛ ليدلوهم عليها،
ويرشدوهم إليها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦]
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾ [النحل:
٣٦] هذه الغاية: هي تحقيق لا إله إلا الله، تلك الكلمة العظيمة، ما
حلّت قلب فرد إلا وغيّرت حياته، وما حكمت بها أمة إلا وصبغت

حياتها صبغة معينة وسادت العالم كله، هذه الكلمة العظيمة تعني أن لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، هي التوحيد الخالص، ولباب الرسالات كلها، وعمود الدين، والاعتقاد الذي يجب أن ينطلق منه كل عمل.

هذه الكلمة تعني- أيها المسلم- أن لا ترفع يديك، بدعاء واستغاثة، وطلب واستعانة إلا لله تعالى، ولا تتوجه بقلبك، وتأمل، وترجو إلا الله تعالى، ولا تناجي في ظلمات الليل البهيم، وضياء النهار الساطع، وفي حالات الشدة، وساعات الرخاء، وأوقات الفرح والترح إلا الله سبحانه وتعالى، ولا تنذر إلا لله جل وعلا، وهذه الكلمة تعني أن تنطلق في جميع أعمالك كلها من صلاة وزكاة وصيام وحج وبر وإحسان وتعامل مالي أو غيره أو زواج وتحاكم لله تعالى، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴿[الأنعام: ١٦٣].

أيها المسلمون!

هكذا المسلم يجب أن يصوغ حياته، ويعدل سلوكه، ويقيم تصرفاته، ويبنى علاقاته قائمة على هذا التأسيس بالقلب، ثم يتفرع منه إلى عمل الجوارح.

ومن كان كذلك كان كسلف الأمة الصالح الذين لم تتجه قلوبهم إلا لله، ولم تقع أعينهم إلا على ما يقربهم إلى الله، ولم تستمع آذانهم إلا ما يرضي الله، ولا تنطلق ألسنتهم إلا بما يرفع مقامهم عند الله، فتراهم عرفوا ربهم حق المعرفة، وعبدوه حق عبادته، قاموا ليلهم، وصاموا نهارهم، ووصلوا أرحامهم، وأقاموا سلوكهم على ما جاء عن ربهم، تراهم كما قال تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ [المؤمنون: ٢-٩].

أيها المسلمون!

هكذا التوحيد، وهكذا الموحدون الذين وحدوا الله، وعرفوا أنه لا شيء أحب للقلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها، ومعبودها، ووليها، ومولاها، وربها، ومدبرها، ورازقها، ومميتها، ومحيتها، فبمحبتة نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألد، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبته، والإنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له

بذلك أئمن من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة حتى قال قائلهم: إنه ليمر بالقلوب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. قاله ابن القيم رحمه الله.
أيها المسلمون!

إن هذا التوحيد الخالص أفضل طلبية، وأعظم رغبة، وأشرف نسبة، وأسمى رتبة، وهو وسيلة كل نجاح، وشفيع كل فلاح، يصير الحقيير شريفاً، والوضيع رفيعاً، ويُعلي النازل، ويشهر الخامل، هذا التوحيد الخالص يدخل الجنة وينجي من النار، روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ سمع مؤذناً يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، فقال ﷺ: (خرجت من النار)^(١). وفي الصحيح أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة).^(٢)

والتوحيد الخالص - عباد الله - أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، كما صح بذلك الخبر، عن سيد البشر ﷺ^(٣)، والتوحيد الخالص أمان من وحشة القبر، وهول الحشر والنشر، جاء في المسند مرفوعاً: (ليس

(١) في كتاب الصلاة برقم (٨٧٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأحمد في مسنده برقم (١٣٣٦١) من حديث أنس.

(٢) رواه مسلم برقم (١٤٥) من كتاب الإيمان عن عثمان رضي الله عنه، وأحمد في المسند برقم (٤٦٤) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٧٧٣٣) من حديث أبي سلام عن مولى لرسول الله ﷺ.

على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في نشورهم، وكأنني
بأهل لا إله إلا الله، وقد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون:
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن).^(١)

فيا أيها المؤمنون الموحدون! جددوا إيمانكم، ونقوا توحيدكم،
وأخلصوا عبادتكم، وحققوا ذلك بأعمالكم وتصرفاتكم، ولا تملوا مع
أهوائكم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا،
وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٤٦٠) والبيهقي شعب الإيمان برقم (٩٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين الموحدين، أحمدده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أيها المسلمون.. إن معظم الشرور والنكبات التي أصابت أمة الإسلام، وأشد البلايا التي حلت بها كان السبب الرئيس فيها ضعف التوحيد في النفوس، وما تسلط من الأعداء، وأغار من أغار على حياض المسلمين، واستأصل شأفتهم، واستباح حرمتهم إلا بسبب ضعف التوحيد، وما حرمت أمة نعمة من ربها إلا بسبب خلل في التوحيد: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

أيها المسلمون!

لقد قصر فئام من الناس بالتوحيد، فصادموا المنقول، وخالفوا صحيح العقول، يتهافتون على الغفلة تهافت الفراش على البراس، حتى جاهر بعضهم بالمعصية، فأدت إلى بعدهم عن الله، ووقوعهم في الشبهات.

ولقد ابتلي كثير من الناس بالجهل بالتوحيد، فأنحازوا إلى أصحاب القبور، والتجؤوا إليهم، وتضرعوا أمام أعتابهم، فقبلوها، وتمسحوا بها، حتى استغاثوا بأهلها في الشدائد والكروب، بل طافوا بها كما يطاف بالكعبة المعظمة، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأرضة.

ولقد قصر آخرون مع التوحيد، فتقاذفتهم الأهواء، واستولت عليهم الفتن والأهواء، فمن مفتون بالتمائم والحروز، يعلقها على نفسه وعلى عياله بدعوى أنها تدفع الشر، وتذهب العين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِيْضٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقد رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صُفْر، فقال: "ما هذا؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً" رواه ابن ماجه وأحمد بإسناد حسن،^(١) وهناك فئام أخرى أخلت بالتوحيد، فافتنت بالمشعوذين والدجالين الكذابين، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بدعوى أنهم يكشفونهم بأمور الغيب، فيما يسمى بمجالس تحضير الأرواح، أو

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣١) وأحمد رقم (١٩٦٢٤) من حديث عمران بن حصين.

قراءة الكف والفتجان، وكل ذلك دجل وخرافة، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].
والرسول ﷺ يقول: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) ^(١).

وإن من الناس من يخل بالتوحيد إخلالاً قوياً، كمن هو مفتون يلهث خلف من يقرأ الأبراج الذين يدعون أن السعادة كامنة في برج أصحاب الجدي، والغنى مستقر في أصحاب برج العقرب، والتعاسة وخيبة الأمل بمن يولد في برج الجوزاء إلى غير ذلك من سيل الأوهام والخزعبلات المفتنة التي لا تزيد العبد إلا وهناً ورعونة وخوفاً.

فاتقوا الله، عباد الله! واحذروا من كل ما ينافي التوحيد، ويخل به، أو يجرحه أو يثلمه؛ حتى لا تقعوا فريسة للأوهام في الدنيا، وحتى لا تجدوا في الآخرة ما هو أشد وأنكى، فإن حققتم التوحيد، فأبشروا وأملوا، أبشروا بالسعادة والراحة في الدنيا، والأمان والنجاة في الآخرة. جعلني الله وإياكم من أهل لا إله إلا الله، الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٩٥٣٢) والحاكم في المستدرک رقم (١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وصلوا وسلموا على رسولنا الكريم، ذي القدر العظيم، كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

مظاهر ضعف التوحيد وأسبابه وعلاجه

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمدده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي تفرد بأن يعبد ويُحمد، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله الذي نهى عن الشرك وشدّد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن لله صلى وصام وتعبّد.

أما بعد: عباد الله! اتقوا الله، وواحدوه، ووثقوا صلّتكم به، واعملوا بالأسباب الموصلة إليه تفوزوا في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون!

التوحيد أصل الأصول، والعروة الوثقى، وأساس الدين، ومنبع الأخلاق والسلوك، وهو الشجرة الثابتة التي تنمو في قلب المؤمن، فيسمو فرعها، ويزداد نموها، ويزدان جمالها، كلما سُقيت بماء الطاعة ازداد العبد محبة لربه، وخوفاً منه، ورجاءً له، ويقوى توكله عليه، واستعانت به، ولجوؤه إليه، وأنسه به، ويذوق طعمه ولذته، وبهذا يكمل التوحيد، ويقوى في قلب المؤمن.

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

أيها المسلمون!

غير أن فثاماً من المسلمين ينتسبون إلى هذا التوحيد، ويأنسون بالانتساب إليه، ويزعمون تمكنه من نفوسهم، وتغلغله في قلوبهم، لكن هذه دعاوى لسانية عند كثير منهم لا دليل عليها، فترى منهم مظاهر غير خفية، ودلالات بينة تدل على ضعف التوحيد في نفوسهم، وعدم تمسكهم به، وبعدهم عنه، وهي متفاوتة بين أناس وآخرين، فمن المظاهر الظاهرة في ذلك: الوقوع في المعاصي صغيرها وكبيرها، بل والإصرار عليها، واستمرارها، واستمراؤها، وعدم القلق من ارتكابها، أو الخوف منها، وأعظم من ذلك المجاهرة بها، جاء في الحديث الصحيح: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً بالليل، ثم يصبح، وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، وأصبح يكشف ستر الله عنه)^(١).

فما أولئك المتخلفون عن صلاة الفجر مع الجماعة، وهم جيران للمسجد، وغير معذورين، أو يرفعون على منازلهم ما يدل على آلات اللهو، ومسح الفضيلة، ونشر الرذيلة، أو أولئك المتحدثون بمعاصيهم في أسفارهم إلا من هذا الصنف، والعياذ بالله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، برقم

(٦٠٦٩)، ومسلم في كتاب الزهد، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، برقم (٢٩٩٠).

ومن مظاهر ضعف التوحيد، التكاسل عن أداء العبادات، والثاقل في عمل الطاعات، وإن أداها فحركات جوفاء يفعلها بجسده، وقلبه يتقلب في أمور الدنيا الدنيئة، ومثل هذا، والعياذ بالله، يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢].

هذا في حال الفرائض، ولو سألت عنه في حال النوافل، فلا تجده سجل في صحيفته شيئاً يذكر.

أيها المسلمون! ومن مظاهر ضعف التوحيد: التعلق بغير الله عز وجل، والركون إلى المخلوقين، والتشفع بهم، فيما لا يقدر عليه إلا الله، وطلب الحاجات منهم، والمدد منهم، أو الطواف حول أضرحتهم وقبورهم، أو التعلق بالسحرة والمشعوذين والدجاجلة والكذابين، والركون إلى الكهنة والمنجمين، وبذل الأموال الطائلة لهم أو تعلق القلب حال المصائب والأمراض بالطبيب واعتقاد أن الشفاء بيده، أو الخوف والهلع من ذهاب رزقه، ورزق أولاده، فأين التوكل على الله، وأين اللجوء إليه، وأين استشعار قربهِ ومعينته؟ وأين اعتقاد أنه خالق السماوات والأرض، ومدبر الكون، ومقسم الأرزاق، ومبتلي العباد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ (٣)﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَنْقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾. [الطلاق: ٢-٥].

ومن مظاهر ضعف التوحيد: عدم التأثر بالقرآن العظيم، وما فيه من وعد ووعد، وزجر وتهديد، وقصص وأخبار، ومما يضعف التوحيد عدم قراءة القرآن إلا في مواسم متباعدة، فلا تطيق نفسه مواصلة قراءته، ويميل سماعه، ولا يتأثر به، وكذا تجده بعيداً عن ذكر الله غافلاً عن دعائه، لا يحرك قلبه موت الميت، ولا حضور الجنازة، أو شهود دفنها في المقبرة.

ومن مظاهر ضعف التوحيد: التعلق بالدنيا وملذاتها وشهواتها، والنظر بعين الغيرة إلى من أوتي حظاً كبيراً منها، واعتبار السعادة في الحصول عليها، والبعد عن الآخرة، وضعف العمل لها، فتجد مثل هذا ممسكاً ماله، حريصاً عليه، لا ينفق في معروف، ولا يعطف على مسكين ولا يرحم يتيماً، ولا يحسن إلى فقير، يخشى الفقر، ويأمل الغنى، مسرفاً في شهواته، ويتعدى ذلك إلى الكسب المحرم، يجمع ما هو وبال عليه، وما عرف أن الدنيا زائلة، وحظ المؤمن منها ما أكل فأبلى، وما أنفق فأبقى، وما بقي سيحاسب عليه، من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

فأثبتوا، عباد الله، وقفوا على الداء، كي تنجحوا في وضع الدواء له قبل أن يندم النادم، ولات ساعة مندم. اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، والباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! إن ما سمعناه من مظاهر ضعف التوحيد في النفوس التي ما إن تتمكن فيها إلا ويرد صاحبها المهالك، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، ولكن هيهات! فقد فات وقت التكليف، وجاء أوان الجزاء، فإمّا إلى جنة، وإمّا إلى نار.

أيها المسلمون!

من الخير للمسلم أن يتعرف على أسباب ضعف التوحيد ليتوقاها، ويحذر الوقوع فيها، ومن أهمها: عدم استشعار مراقبة الله تعالى، فإذا أخل المسلم بذلك، ونسي أو تناسى، أو غفل أو تغافل عن محاسبة الله إياه، وأن كل شيء مسطر عليه في صحائف أعماله، تَلَهَّى في الدنيا، وتعلق بها، ونسي الله، فنسيه، وصار يهيم في الطرق المعوجة، ويتخبط في المسالك الوعرة.

ومن أسباب ضعف التوحيد: أكل الحرام، والتعامل به، وجلب الأموال بالطرق الخبيثة، وصرفه في المصارف المحرمة، ومن تعامل بذلك ضعفت علاقته بالله عز وجل، فلم يقبل له دعاء، ولم يرفع له

عمل، ووكل إلى نفسه، ومن وكل إليها، وكل إلى ضعف وخور، جاء في الحديث الصحيح: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً حتى ذكر الرجل يطيل السفر...) الحديث^(١).

ومن أسباب ضعف التوحيد عدم المبالاة بالأعمال الصالحة والانشغال بالدنيا وجعلها هي الهم الأكبر، ومنها الانشغال بالملهيات وبخاصة في هذه الأوقات التي كثرت فيها الفتن وتنوعت. أيها المسلمون!

إن هذه الحياة ميدان العمل، وخير العمل ما قوي به التوحيد، وتمكن في القلب، وعالج ما يطرأ عليه، ومن أهم ما يذكر في ذلك استشعار عظمة الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب، وسريانه إلى الجوارح؛ لتنتقل عن طريق العمل بما وعاه القلب، فإذا تمكن هذا الشعور قاده إلى الصراط المستقيم، والطريق القويم، وهداه إلى معرفة الرب الرحيم، فيعمل بما يرضي الجليل الكريم.

ومما يزيد في التوحيد، ويمكنه في النفوس، العمل بالفرائض، فما تقرب عبد إلى الله بأحب مما افترض عليه. كما ثبت في الحديث الصحيح^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة برقم (٢٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٦٥٠١) من حديث أبي هريرة.

ثم بما استطاع عمله من النوافل المتعددة المتنوعة، لما جاء في الحديث القدسي الشريف الصحيح : (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته...) الحديث، وما يذكر من النوافل، ويزيد في الإيمان والتوحيد، ويمكنه في النفوس: - قراءة كتاب الله تعالى، وتدبره، والتأمل في وعده ووعدته، وقصصه وأخباره، وحلاله وحرامه، وكذا المحافظة على الأذكار الشرعية الموثقة المرتبطة بحال أو مكان أو زمان، كأذكار الصباح والمساء وغيرها. ومما يذكر في النوافل أيضاً أن يخصص المؤمن عبادة سرية بينه وبين ربه لا يطلع عليها إلا الله تعالى، كأن يخصص صلاة في الليل، أو صدقة شهرية، أو أسبوعية، وغيرها من أفعال الخير، وأعمال البر، فهذا أخلص في النية، وما كان كذلك كان أكثر قرباً إلى الله تعالى.

فاتقوا الله عباد الله، وصلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا في القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

من مقتضيات العقيدة : التوكل على الله

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي المتين، الملك الحق المبين، أحمدده سبحانه، وأشكره حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المتقين، وناصر المتوكلين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وخير المتوكلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله، وتوكلوا عليه، ومن توكل على الله، فهو حسبه. أيها المسلمون! أمر عقدي جلل، ومسألة عظيمة، تساهل فيها أقوام فضّلوا، واستسلموا للشياطين، وصاروا نهباً للحيرة والته، وحادوا عن الطريق المستقيم، فانتكسوا، وتمسك به عبادة الله المؤمنون، فأيدهم، ونصرهم، ورزقهم، وآواهم، وحفظهم، وأنزل عليهم السكينة، والطمأنينة، والراحة النفسية، هذه القضية المهمة التي أمرنا الله أن نذكرها في كل ركعة من ركعات صلاتنا هي الاستعانة بالله، والتوكل عليه: ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ وَإِلَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] والتي لا يجوز صرفها، ولا صرف شيء منها لغير الله تعالى. لذلك قال بعض أهل العلم: (التوكل في الدين بمنزلة الرأس من الجسد) فالذي ليس عنده توكل

ليس عنده دين، كالجسد الذي ليس له رأس، ومعلوم أن الجسد إذا فَقَدَ الرأس، فَقَدَ الحياة، فكذلك الدين إذا فَقَدَ التوكل، فَقَدَ الصحة، فلا يكون ديناً صحيحاً.

أيها المسلمون! التوكل على الله هو الاعتماد عليه، وتقوية الثقة به، واليقين بأنه حسب الإنسان وكافيه، يوقن العبد أن الأمور كلها بيد الله تعالى، فلا معين إلا هو، ولا مغيث إلا هو، وهو خالق الخلق كلهم، ومدبر شؤونهم، والعالم بأحوالهم، فالمتوكل على الله هو الذي يعتمد عليه، ويثق به، ويلجأ إليه، ويطمئن بموعوده.

ولعظم هذه المسألة في عقيدة المسلم أمر المسلم أن يتذكرها، وأن يستصحبها في جميع أحواله وشؤونه، فجاءت التوجيهات العامة والخاصة بهذا الأمر الجلل، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَرْقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿يَرْقُومُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِيَّائِي اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١] وقال عن هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] وقال، عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وقال الله تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [٧٩]

[النمل : ٧٩] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤] وقال عن الصالحين من عباده : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
 النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
 ١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ [آل عمران:
 ١٧٣ ، ١٧٤].

وقال تعالى : ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]
 وقال: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].
 وقال ﷺ: " اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت،
 وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك - لا إله إلا أنت -
 أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون".^(١)
 أيها المسلمون،

التوكل عبادة جليلة، بل من أعظم العبادات القلبية التي يجب
 إخلاصها وتعاهدتها، ولها آثار عظيمة محمودة تعود على الفرد المتوكل
 على الله في نفسه، وعلى المجتمع الذي أخلص توكله على ربه.
 فالتوكل على الله تعالى يورث صاحبه قوة وشجاعة قلبية، وثباتاً
 واطمئناناً، وقوة تهون أمامها كل قوة، وثباتاً راسخاً أرسى من الجبال

(١) رواه البخاري كتاب بدء الوحي، باب قول الله تعالى: (وهو العزيز الحكيم) برقم
 (٧٣٨٣)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء (٢٧١٧) واللفظ له.

الرواسي على الأرض، فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام عندما ألقى في النار لم يزد على أن قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وروى البخاري^(١) وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومن آثار التوكل العظيمة، وثماره الجليلة أنه يورث صاحبه رزقاً واسعاً، وخيراً عميماً، وفضلاً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"^(٢) فليشر المتوكلون على الله برزق الله تعالى، وفضله، وإحسانه، فإذا كان هذا الرزق في الطير، فما بالكم بالإنسان المفضل على سائر المخلوقات؟

ومن آثار التوكل: أنه سبيل لقطع الوسوس الشيطانية والهواجس المخيفة، والإرجاف في طلب المعاش خشية الفقر، والتعلق بالأوهام

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٦٣) كتاب التفسير، باب (إن الناس قد جمعوا لكم) عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (٢٣٤٤)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٤١٦٤)، وأحمد رقم (٢٠٥).

والخزعلات حال المصائب والأمراض، والشيطان يحرص أن يدخل على الناس من هذه المداخل؛ لكي يززع إيمانهم ويضعف يقينهم، ويخلخل عقيدتهم، وينزع منهم الثقة بربهم، فالمتوكل على الله تعالى يحتقر هذه الوسوس والخزعلات.

ومن آثاره أيضاً: أنه سبيل السعادة والراحة النفسية؛ فأسعد الناس في هذه الحياة المتوكلون على الله حق توكله؛ إذ إنهم يعلمون أن الحياة السعيدة ليست بكثرة المال والعرض، أو الجاه والمنصب، أو غيرها من الأمور الدنيوية ما لم يعمر هذه الأشياء، ويوجهها إيمان راسخ، وتوكل عميق، وثقة بالله كبيرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ فَدَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فاتقوا الله عباد الله وقووا توكلكم على الله، واعتمادكم عليه، واستعينوا به في سرائكم وضرائكم تفلحوا في دنياكم وأخراكم، نفعمني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

أيها المسلمون!

إن من تمام عقيدة المسلم تجاه التوكل أن يعلم أن التوكل لا يعني ترك الأسباب المشروعة المأمور بها، جاء رجل إلى النبي ﷺ ودخل المسجد ليصلي، فقال لرسول الله ﷺ: أعقل دابتي، أو أتوكل على الله؟ فأجابه عليه الصلاة والسلام: "اعقلها وتوكل" ^(١)، قال أحد العلماء: قال العارفون: التوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوباً بنوع من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزاً، ولا عجزه توكلاً، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله، وهذا معروف في أمور الحياة العامة، فلا نسل بدون زواج، ولا ثمرة بدون زرع، ولا رزق بدون عمل، فمن نفى الأسباب والمسببات، فتوكله مدخول، وادعائه له مزعوم، فعمل الأسباب عبودية لله، واستجابة له

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة (٢٥١٧).

حيث أمرنا بعمل الأسباب، ومن الأسباب الدعاء، ومن الأسباب عمل الأعمال الصالحة، فللجنة أسباب، فلا تبلغ إلا بالأعمال الصالحة، فالله قادر على إسقاط الرطب الجنية على مريم عليها السلام دون أن يقول لها: ﴿وَهَرَيَ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا﴾ [١٥] ﴿[مريم: ٢٥] ، والله قادر على جعل كفار قريش عمياً دون أن يأمر نبيه محمداً ﷺ برمي التراب قال سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

قال ابن القيم رحمه الله: (فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته، وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية) ^(١).

فالمسلم مطالب بأن يحقق التوكل على الله، ويبذل الأسباب، ولكن لا يتكل عليها، فالنتائج بيد الله سبحانه.

وعمر رضي الله عنه يقول: (لقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) ينكر على جماعة جلسوا للعبادة، وصاروا عالة على غيرهم، فصار يضربهم بالدرة، ويأمرهم بطلب الرزق.

أيها المسلمون! في الحياة تقلبات، وأحداث وأحوال، وأفراح وأتراح، وشدة وضيق، وفي التعامل مع هذه الأحوال يحصل هفوات وزلات، فتجد فثاماً من المسلمين يجري على لسانهم الخوف من

(١) مدارج السالكين (٢/١٢٥).

المستقبل، والتشاؤم فيه، كأن الأمور بيد البشر. وفئام أخرى تعلقوا بالسحرة والكهان والمشعوذين، وطلب شفاء أمراضهم منهم، وتصديق أخبارهم وإرجافاتهم وخزعبلاتهم، وكذا الشعور الدائم بالقلق من أمور الدنيا، وعدم الثقة بالله وبموعوده، ومن ذلكم الطمع والجشع المؤديان إلى الشح والبخل، والخوف على الرزق، وعدم صرفه بمصارفه الشرعية، ومثل ذلك التعلق بالطبيب المعالج، واعتقاد أن الشفاء عنده أو بأدويته، أو التداوي بالأدوية المحرمة، أو الخوف على رزق الأولاد ومستقبلهم، ومن ذلكم النفاق، والمجاملة المذمومة مع الآخرين لطلب ما عندهم دون الله سبحانه، فضلاً عن طلب شفاعتهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وكذا طلب الرزق من الطرق غير المشروعة، والتفكير السلبي المتشائم من المستقبل، وكذا الاستجابة لوساوس الشياطين وأوهامهم.

أيها المسلمون!

كل هذه المظاهر ونحوها مردّها ضعف التوكّل على الله تعالى، وقلة اليقين بالله سبحانه وتعالى، وعدم إحسان الظن به جلّ وعلا، وقد

قال النبي ﷺ: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)^(١).

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حالٍ إلى حالٍ
فاتقوا الله، عباد الله! وراجعوا أنفسكم، وصححوا أخطاءكم،
وعالجوا نقاط الضعف فيكم، وقوّوا توكلكم على ربكم، فالأمر جدّ
خطير وعظيم، وصلّوا وسلّموا على الرسول الأمين، صفّي رب
العالمين، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين كما
أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) سبق تخريجه في ص ٢٢.

الخوف من الله

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدىء المعيد، ذي العرش المجيد، والبطش الشديد،
الفعال لما يريد، أحمدده سبحانه وأشكره، بالشكر تدوم النعم وتزيد،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا
محمدًا عبده ورسوله، أنذَرَ القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه
وعلى آله وأزواجه وأصحابه ذوي الحِجَا والرأي السديد، والتابعين
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث الناس من جديد.

أما بعد : عباد الله ! اتقوا الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾
[البقرة: ٢٨١] اتقوا يوماً الوقوف فيه طويل، والحساب فيه ثقل.

أيها المسلمون!

هذه الحياة الدنيا دار سير إلى الآخرة، يعيش فيها الإنسان مرحلة
من مراحل تكوينه ووجوده، وقد ابتلاه الله فيها، وكلفه فيها، لينظر
الصادقين من الكاذبين، ورسم له الطريق، وأوضح المعالم، وأوجد
العلامات الدالة على الفوز والنجاة.

وبيّن الضمانات التي تضمن مسيره إلى الدار الآخرة بأمن
وسلام، أهمها وأقومها أن يعيش في هذه الدنيا بين خوف الله تعالى،
ورجائه له، خوفه من عقابه وعذابه، ورجائه لرحمته وغفرانه، فهما كما

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: جناحا قلب العبد المؤمن يطير بهما إلى الله تعالى، ومتى افتقد الطائر جناحيه أو أحدهما، فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

أيها المسلمون!

أحد هذين الجناحين الذي يطير بهما قلب المؤمن: الخوف من الله تعالى وخشيته، خوفٌ يستلزم معرفة العبد لربه، وعبادته وحده دون سواه، وطاعته وتنفيذ أوامره، ومحبته وطلب رضاه.

الخوف من الله، صفة من صفات المتقين، وخصلة من خصال العارفين، ودليل على اليقين بالله رب العالمين، وبموعوده.

وقد وصف الله به ملائكته المقربين ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] فكلما زاد العبد معرفة بربه، وبنفسه، وبمحبته، واستشعر تكليفه، كان لخالقه أخشى وأخوف، جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ قدوة الخائفين "إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية" ^(١).

أيها المسلمون!

للخوف من الله آثار تنعكس على الفرد المؤمن الخائف، من

(١) رواه البخاري في الأدب، (٦١٠١) باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ومسلم في الفضائل برقم (٢٦٤٤).

أعلاها وأقواها: السرعة إلى رب العالمين في المسير، والعمل الصادق خشية الوقوع في الآثام والسعير.

ومن الآثار العظيمة: الكف عن المعاصي، والحذر من الوقوع في محارم الله، والبعد عن السيئات وأماكنها ومجالسها، روى الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله- وذكر منهم-: ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله"^(١). فحال خوفه من ربه بينه وبين إغراء هذه الفتنة، وإغواء الشيطان، وفي الحديث: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل"^(٢)، وقال بعضهم: ليس الخائف من بكى، إنما الخائف من ترك ما يقدر عليه من أثر الخوف.

أيها المسلمون!

الخوف من الله يحدث على وجوه: أحدها: معرفة العبد بذل نفسه وهوانها وقصورها وعجزها، وأنه لا يمنعها شيء من الله تعالى إن أرادها بسوء، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۚ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٢﴾

(١) رواه البخاري في الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة برقم (١٤٢٣)، ومسلم في الزكاة برقم (٢٤٢٧).

(٢) هو قطعة من حديث النبي ﷺ الذي أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة برقم (٢٤٥٠) عن أبي هريرة، قال أبو عيسى: حديث حسن غريب. وأخرجه الحاكم رقم (٧٨٥١) وقال: صحيح الإسناد.

[نوح: ١٣، ١٤] والذي خلقه من طور إلى طور قادر على أخذه وعقوبته في كل حال، والثاني: ما يحدث من المحبة، وهو أن يكون العبد في عامة الأوقات وَجِلاً مَنْ أَنْ يَكِلَهُ إِلَى نَفْسِهِ، ويمنعه التوفيق، ويقطع دونه الأسباب، فلا يزال مشفقاً من حرمان محبته، خائفاً من السقوط عنده، والثالث: ما يحدث من الوعيد، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَقُولُ﴾ [البقرة: ٤١] وقال: ﴿وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] فخوف المسلم من ربه نابع من خشيته لربه، وتعظيمه له، وإجلاله له، ومن خوف سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، فالخوف المحمود المطلوب هو الذي يعلق صاحبه بالله عز وجل، ويقوده إلى طاعته، وطلب الرحمة والمغفرة مقترناً بحسن الظن بالله تعالى.

أيها المسلمون!

ليس الخوف المقصود هو ذلك الذي يقعد صاحبه عن العمل، أو يدعوه إلى ما حرم الله، أو اقتراف المنكرات والآثام، والتقلب بين المعاصي والسيئات، وليس ذلك الخوف الذي يدعيه بعض الصوفية الجهلة ممن غلب عليهم الجهل بالله وهوى النفس، وخزعبلات الضلال، ووساوس الشيطان.

وليس ذلك الخوف الجبلي الطبيعي من بعض الأمور، كالظلام، أو كون إنسان أو عده وهده، أو خوف الهلكة من حيوان ونحوه.

وليس ذلك الخوف الذي هو الهلع تجاه الرزق، أو رزق الأولاد، ويحدث عند هذا الخائف اضطراباً وقلقاً دون تعلق بالله، أو اتكال عليه، فيورث له هذا الخوف بخلًا وإمساكًا وشحًا عن سبل الخير والمعروف. وإن كان قيل: الولد مجبنة مبخلة^(١)، إلا أن ما عند الله من الثواب وجيليل الأجر أرجى لانطلاق الأيدي بالعطاء.

أيها المسلمون!

كل هذا الخوف وأمثاله، إما خوف مذموم كالخوف من الشياطين أو خوف الجهال، أو خوف امتناع الرزق وعدم الشفاء من الأمراض، أو خوف لا يذم ولا يمدح، وهو الخوف الجبلي الطبيعي الذي يقع لبعض الناس، كالخوف من مجهول، أو من سبع ونحوه. فحري بالمسلم العاقل أن يتجنب هذه المخاوف، وأن لا تسيطر عليه هذه الأوهام، فيتعلق بما دون الله عز وجل.

(١) أخرجه الحاكم رقم (٨٤)، عن الأسود بن خلف رضي الله عنه، والطبراني في الكبير رقم (٢٠٠٨١) عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قوله ﷺ: "إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة" قال الذهبي إسناده قوي، وحديث الأسود قال الحاكم على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وقال العراقي: إسناده صحيح، انظر البيان والتعريف ١١٨/١ برقم (٥٨٨).

أيها المسلمون!

إن الخوف من الله، والخشية من عقابه، وعذابه، القائم على الشعور بقدرة الله تعالى وهيمنته، وما توعد به الكفرة، والمجرمين من عقاب أليم، وعذاب شديد، هو الذي يجب أن يتصف به المسلم، ولكن لا ينبغي أن يفضي هذا الخوف إلى اليأس من رحمة الله، والاستبعاد لمغفرته، وعفوه، فهذا اليأس من شأن مسيء الظن بالله تعالى من الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. [يوسف: ٨٧].

فاتقوا الله، عباد الله! وعظموه ﴿وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ. وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربنا تعاضم فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، كتب العزة لمن أطاعه فارتقى وانتصر، وجعل الذلة والصغار لمن عصاه، فكان المدحور الأصغر، أحمدته سبحانه وأشكره وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الخبير بما بطن وظهر، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى من البشر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المحشر.

اتقوا الله، عباد الله! فتقوى الله عروة ما لها انفصام، وتستضيء بها القلوب والأفهام.
أيها المسلمون!

إن من خاف الله تعالى وخشيه على نحو ما ذكر، فقد عبد الله حق عبادته، وأمن يوم الفزع الأكبر، وارتاح يوم يضطرب الناس، ويطغى عليهم الخوف والبأس، "ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا أن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة" ^(١).

أيها المسلمون!

(١) سبق تخريجه.

إن الخوف من الله سمة من أعظم سمات المؤمنين، وصفة من صفات المتقين، بل هو شرط من شروط الإيمان، ومن مقتضيات عقيدة الإسلام، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال تعالى عن العلماء العالمين الربانيين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهكذا - عباد الله - حال السلف من الصحابة والتابعين، جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ خطب يوماً، فقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)^(١)، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى، قال الراوي: فغطى الصحابة رضوان الله عليهم رؤوسهم ولهم خنين^(٢)، لقد أثرت فيهم موعظته عليه الصلاة والسلام، فأجهشوا بالبكاء خوفاً من مستقبل لا يدرون كيف يكون؟

وأمر المؤمنين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، إذا سلك طريقاً سلك الشيطان طريقاً

(١) أخرجه في الصحيحين، البخاري (١٠٤٥) كتاب بدء الوحي، باب النداء بالصلاة.

ومسلم (٩٨٩) كتاب الفضائل،

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٦٢٦٨) كتاب الفضائل.

ورواه الترمذي (٢٣١٢) باب قول النبي ﷺ لو تعلموا ما أعلم لضحكتم قليلاً من كتاب الرقاق.

آخر، اسمعوا إليه وهو يقول من شدة الخوف من الله: (يا ليتني كنت كبش أهلي سموني ما بدا لهم، حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض من يحبونه، فذبحوني لهم، فجعلوا بعضي شواء، وبعضي قديداً، ثم أكلوني، ولم أكن بشراً) وهذا أحد الصحابة رضي الله عنه تنهار قواه، ويختر مغشياً عليه لما سمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [الطور: ٧] والآخر يغمى عليه عندما سمع قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [العنكبوت: ٢٩]. فيقسم هذا الصحابي عندما أفاق يقول: وعزتك لا عصيتك جهدي أبداً، فأعني بتوفيقك على طاعتك، ويقول موسى بن سعد رحمه الله: (كنا إذا جلسنا إلى سفيان الثوري، كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه).

أيها المسلمون!

لقد تضاءلت هذه الصور المشرقة في واقع كثير من المسلمين اليوم فضعف الخوف من الله، وقلَّ الإشفاق من المصير، وأمن هول المطلع، وهان على كثير منهم شرب النفاق إلى القلوب، وأمنوا من مكر الله، فالذين يتقبلون بنعم الله، ولا يشكرونه عليها، بل يعيشون فيها فساداً، والذين يتشاقلون في فعل الطاعات، ويتكاسلون عنها، في الصلوات متأخرون، وعن الإنفاق بخلون، وعن المبادرة إلى الخيرات متشاغلون، والأطم من هذا أن بعضاً منهم في المعاصي منغمسون، أنعم الله عليهم، فطغوا بنعمته، وكفروا، ولم يشكروا، وأعموا عيونهم

وأبصارهم وبصائرهم عن العواقب والنتائج، فأمنوا العقوبات، وركنوا إلى الدنيا، فحرّي بهؤلاء أن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

كل هذا وذاك مرده ضعف الخوف من الله، وعدم استشعار عقوبته، والأمن من عذابه ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فاتقوا الله، عباد الله ! وقفوا مع أنفسكم محاسبين، ولأعمالكم متأملين، واستشعروا عظمة ربكم، وعظّموا خوفه في نفوسكم، ﴿ حَمَّ ١ ﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ ﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿ الآية (غافر: ١-٢).

رزقني الله وإياكم قوة في اليقين، وعزماً على الجِد والعمل القويم، وخشية صادقة لرب العالمين، وصلوا وسلموا على النبي الأمين وآله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، كما أمر الباري بذلك في كتابه الكريم بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

من مقتضيات العقيدة : الدعاء

الخطبة الأولى

الحمد لله الحليم التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، أحمدته سبحانه وأشكره، لم يزل بالمعروف معروفاً وبالكرم موصوفاً، يكشف كرباً ويغفر ذنباً، ويغيث ملهوفاً، يرسل آياته ونذره، وما يرسل بالآيات إلى تخويفاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أكرم الخلق نسباً وتشريفاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله ! اتقوا الله تعالى، وأخلصوا له العبادة، وصلُّوا ما بينكم وبينه بالدعاء والطاعة.

أيها المسلمون!

عقيدة الإسلام، المتمثلة بأركان الإيمان، ومقتضياتها وشعبها، كلُّ مترابط لا يتجزأ، وحلق متصلة لا تنفك، وبنیان يكمل بعضه بعضاً، لا يجوز هدمه أو إفساده، بل يجب السعي إلى إكماله وتجويده، وقوته وتماسكه، وإن من أهم تلك المقتضيات، وأعظم تلك الشعب، دعاء الله ورجاءه، وطلبه ومسأله، والاستعانة به، والاستغاثة به، وتوحيده في هذه المسألة، وذلك الدعاء.

هذا الدعاء من أعظم مقتضيات العقيدة، وأهم عرى الإيمان، أمر به ربنا تبارك وتعالى، وأكد عليه، بل جعله الرسول ﷺ هو العبادة كما روى ذلك الترمذي وغيره ^(١).

أيها المسلمون!

الدعاء هو إظهار الافتقار إلى الله، والتبري من الحول والقوة إلا له سبحانه، والاستشعار بالذلة له، وهو سمة العبودية الحقة. الدعاء: هو الاستعانة بالله، واللجوء إليه ومنااداته، والاستغاثة به لجلب النفع والخير، ودفع الأذى والشر. والدعاء هو الثناء على الله تعالى بما هو أهله، وذكره بأسمائه الحسنی وصفاته العلی.

هذا الدعاء المليء بالخشوع والخضوع، والرغبة والرغبة، وقوة الالتجاء، وعظم الإلحاح، حاجة الإنسان إليه أعظم من حاجته للطعام والشراب، فالعباد في هذه الحياة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ولا يستطيعون أن يصرفوا لأنفسهم خيراً أو يدفعوا عنها شراً، فليست الحياة صورة اللحم والدم، وامتلاء الجسم والعضلات، ولا بقوة الحركات، فهذه قوالب يشترك فيها بنو آدم مع السباع والبهائم، ولقد أدرك الإنسان في خضم هذه الحياة أن المفزع فيها، والمخلص فيها من

(١) رواه أبو داود في الوتر (١٤٧٩) باب الدعاء. ولفظه: "الدعاء هو العبادة" الترمذي (١٤٨١) في التفسير سورة البقرة وقال: حديث حسن صحيح.

حياة القلب والاضطراب، والحيرة والاكتئاب، والشك والارتباب، بعد الإيمان هو الدعاء، السلاح الذي يستدفع به البلاء، ويرد به شر القضاء، وهل شيء أكرم على الله من الدعاء؟ كيف والله جل وعلا يحب ذلك من عبده وانطراحه بين يديه، والتوجه بالشكوى إليه، بل أمر عباده بالدعاء، ووعدهم الإجابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

لقد غفل عن هذا كثير ممن قصروا أنظارهم على الماديات، فكَلَّتْ بصائرهم، وعَشَّتْ أبصارهم عن إدراك سنن الله سبحانه، وعجيب صنعه، ولطف أسرارهِ.
أيها المسلمون!

الدعاء دأب الأنبياء، وسمة الصالحين، دعوا الله في السراء والضراء، فاستجاب لهم في الشدة والرخاء، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ۖ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ۖ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ ۖ وَدُسِّرَ ۖ ﴿٥﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ۖ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا مَائَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۖ ﴿٧﴾﴾ [القمر: ٩-١٥].

وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِنُّ مِنْ أَلٍ يَعْقُوبُ ۖ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٤-٦].

وهكذا إبراهيم عليه السلام يتضرع إلى الله حتى رزقه الذرية على كبره، فحمد الله، وشكره، يقول تعالى عنه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۖ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٣٩-٤١].

ونبينا عليه الصلاة والسلام هو قدوة الداعين، فمواقفه مشهودة، وسيرته خير شاهد على ذلك.

أيها المسلمون! كل داع يطمع في استجابة دعائه، وقبول تضرعه، وجلب الخير له، ودفع الشر عنه، وقد أخبر المولى جل وعلا بأن من كرمه وفضله وجوده أن ذلك حاصل كما سبق في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهذه الإجابة لا تحصل إلا بحصول عواملها، وأهمها وأعلاها وأقواها: تجريد هذا الدعاء لله وحده، وعدم إشراك أحد معه غيره من شجر، أو حجر، أو قبر، أو ضريح، أو ولي، أو سيد، أو أي كائن من

هذا الكون، يقول تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فمن دعا غير الله نبيّاً من الأنبياء، أو ملكاً من الملائكة، أو ولياً من الأولياء، أو صاحب ضريح مقبور، أو صاحب شعوذة، وقلب مسحور معتقداً أن هذا ينفعه، فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ويأتي بعد ذلك الخشوع لله تعالى في هذا الدعاء، والخضوع، والرغبة، والرغبة، وحضور القلب، والالتجاء إلى الله بصدق وإخلاص. ثم لينظف الداعي أمواله - بعد أن نظف قلبه - من التعامل بالحرام بأن يكون مطعمه حلالاً، ومشربه حلالاً، وملبسه حلالاً، ولا يتعامل إلا بالحلال، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، قال عليه الصلاة والسلام: فأني يستجاب له ^(١)، فيألى من يتعاملون بالغش والخديعة، وإلى من ينمون أموالهم بالربا، وإلى من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٩٣) في كتاب الزكاة والترمذي رقم (٢٩٨٩) في كتاب الزكاة، وأحمد في المسند برقم (٨٢٩٩) من حديث أبي هريرة.

يأكلون أموال الناس بالباطل؟ ليعلموا أنهم حجبوا دعاءهم عن القبول، وإلا فليتأملوا حالهم، ويستدركوا أنفسهم قبل فوات الأوان.

ومن المهم في الدعاء ترك الاعتداء فيه، وذلك بأن لا يدعو في حرام، ولا يتجاوز ما أمر الله به، لا بقطيعة رحم، ولا بإثم، فهذا عامل لقبول الدعاء.

أيها المسلمون!

وإن من عوامل القبول الحرص على آداب الدعاء، وتحري أوقات الإجابة وأمكتتها، ومن ذلك بدء الدعاء بحمد الله، والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله، والحرص على استغلال أوقات الإجابة، كآخر الليل، وفي الصلوات، وبين الأذان والإقامة، وحال الصيام، والحج، وفي السجود، وحال الخلوة، فاحرصوا وفقكم الله على هذه الشعيرة العظيمة، والجأوا إلى الله في جميع أحوالكم وظروفكم، يُجب الله دعاءكم، ويتقبل مسألتكم.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم ما سألناك فأعطنا، وما لم تبلغه مسألتنا من خيري الدنيا والآخرة، فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ.

وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله جابر قلوب المنكسرين، ومجيب دعاء المضطرين،
أحمده سبحانه وأشكره على ما امتن به على عباده المؤمنين، وما تفضل
به من قبول طلبات السائلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له، فتح الباب للراغبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله،
خاتم الأنبياء والمرسلين، دعا ربه، فأجاب بأعظم ما تجاب به مسألة
السائلين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين،
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : اتقوا الله، عباد الله! فما خاب من اتقاه، وما خسر من
لجأ إليه، وطلب مأواه.

أيها المسلمون!

عند تكالب المدلهمات، واشتداد الخطوب، وشدة الكروب،
يكون إلى الله تعالى الملتجأ، وإليه المأوى.

أيها المريض العاجز! أيها المبتلى القانط! أيها الفقير المنكسر!
الجاؤا إلى الله تجدوا الفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر، والرخاء
بعد الشدة، والشفاء بعد المرض، والغنى بعد الفقر.

عُرفت امرأة من العامة بصلاح أولادها، وحسن خلقهم، فسُئلت في ذلك وهي امرأة لا تقرأ، ولا تكتب، فقالت: لا شيء سوى أنني لا أترك قبل الفجر ركعات أتضرع إلى الله، وأدعوه؛ ليصلحهم، ويوفقهم.

أيها الأب الحاني على أولاده! تسعى لطلب رزقهم ومعاشهم، وتخاف عليهم المرض والبلايا وأصدقاء السوء، ليس لك حيلة في سعادتك وسعادتهم إلا باللجوء إلى الله ودعائه مخلصاً من قلبك بذلك، فلا تمل، ولا تكل يحقق الله لك الرجاء، ويبلغك الأمل.

أيها الولد البار بوالديه! يا من تريد ثمرة هذا البر إنك لا تبلغه إلا بالدعاء لهم ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً.

أيها المكلوم المجروح! وأيها المظلوم المطروح! وأيها المحسود على نعم الله! ليس لك مخلص إلا الله، فانطرح بين يديه يرفع عنك الظلم، ويرد كيد الكائدين وحسد الحاسدين.
أيها المسلمون!

للوالد والولد، والعالم والوالي، والأخ القريب، والصديق الحبيب وغيرهم من المسلمين حق عظيم، فاجتهدوا في الدعاء لهم بخيري الدنيا والآخرة، فدعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب مستجاب، ولك بالمثل، فلا تكن بخيلاً ممسكاً حتى بدعائك ورجائك.

أيها المسلمون!

والمسلمون في كل مكان ضعافهم ومساكينهم ومحاوليهم،
 والمجاهدون، واللاجئون، والمستضعفون، والمقهورون لهم حقوق
 على إخوانهم المسلمين، ومن أعظمها وأجلها قدراً: الدعاء لهم بقلوب
 مخلصه، وأفئدة منكسرة، فالأرض تئن من جراحاتهم، ومن البغي
 عليهم، ومن إخراجهم من ديارهم، وتكالب الأعداء عليهم، فكل يوم
 أنت تسمع مزيداً من المآسي والجراحات التي يندى لها الجبين،
 وتذرف لها العيون الدمع، والقلوب الدم، فإلى الله المشتكى، فاجتهدوا
 في الدعاء لهم ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاً، بقلوب خاشعة في ظلمة الليل
 المدلهم، وفي الصلوات والخلوات، فلعل الله أن يتقبل منكم ويجزيكم
 خير ما يجزي عباده المؤمنين، وذلك يدل على قوة في إيمانكم وعظم
 علاقة بربكم، وثبات في عقيدتكم، وصلوا وسلموا على رسول الله. كما
 أمركم المولى تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

من مقتضيات العقيدة : الرجاء

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، ملاذ الخائفين، وأمل الراجين، واسع الفضل والجود، فكرمه لا يحد، وعطاؤه لا ينفد، فهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، أحمدده سبحانه وأشكره شكر العارفين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً سيد الذاكرين، وقدوة الراجين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد: عباد الله، اتقوا الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته، واتقوه تفوزوا برضاه وجنته.

أيها المسلمون!

إن من مقتضيات عقيدة المسلم، وأحد معالم التوحيد، ودليل من دلائل الدين، وعنوان لعبودية المسلم لربه، الخوف من الله سبحانه وتعالى وخشيته، فهو الحادي إلى ترك المعاصي، لكن هذا الخوف لا يعيش فيه لوحده دون ما يعادله من الرجاء وقوة الأمل، فإذا عبد المسلم ربه بالخوف وحده، أدى ذلك إلى نتائج سلبية من اليأس والقنوط، والقفود عن العمل، والنياحة على كل أمر مفقود، وتخلّف هذا الخائف عن كل أمر إيجابي سليم، والخوف المحمود هو الذي يعيش فيه

المسلم جنباً إلى جنب مع الرجاء الصادق، وهما في قلب المؤمن كجناحي الطائر، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: جناحا قلب العبد المؤمن يطير بهما إلى الله تعالى، ومتى افتقد الطائر جناحيه أو أحدهما، فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

فرجاء المسلم بربه هو الجناح الثاني لقلب المؤمن، والمقصود به هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب لدى الراجي، وأمل بالحصول على المراد، وطمع سائق إلى طلبه، والرجاء هو استبشار بفضل الله تعالى، والثقة بجوده وموعوده، وارتياح لما أعدّه لأولياته.

وهذا الرجاء الصادق من شعب الإيمان وفروعه ودلائله، كما أن الخوف الحقيقي المحمود كذلك. ^(١)

أيها المسلمون!

ذكر الإمام ابن القيم، رحمه الله رحمة واسعة، أن الرجاء ثلاثة أنواع: أما النوع الأول: فرجاء رجل عمل بطاعة الله تعالى على نور من الله، فهو راج لثواب الله، كمن يصلي تعبداً لله تعالى، واستجابة لأمره، وانقياداً له، وكذا بقية الطاعات.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد" رواه مسلم في كتاب التوبة برقم (٧١٥٥).

والنوع الثاني: رجاء رجل أذنب ذنباً، ثم أقلع عنها، وتاب، وأتاب إلى ربه، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه، وجوده وحلمه وكرمه، كمن يتساهل في أمر الصلاة مع الجماعة، ويتأخر عنها، ثم تاب من هذا الفعل، ورجع إلى ربه، وندم على ذنبه، فهو يرجو أن تقبل توبته، ويغفر ذنبه.

والنوع الثالث: رجاء رجل متماد في التفريط والخطايا والذنوب، فهو يتقلب في المعاصي، وينتقل من معصية إلى أخرى، كمن لا يدفع زكاة ماله، ولا يصلي في المسجد، ويرتكب بعض المحرمات، كالعامل بالربا والغش والخداع والغيبة والنميمة والحسد والحقد، فهو يرجو رحمة الله مع تماديه بمعاصيه، وعدم إقلاعه عنها وإصراره عليها. ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت رجائي دون عفوك سُلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفوك عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منه وتكرماً
أيها المسلمون!

هذه أنواع الرجاء، فالأول وهو: من يرجو ثواب الله تعالى على عمله الصالح، والثاني: الراجي مغفرة ذنوبه من خطاياهم، فهذان رجاءان محمودان مطلوبان، وهما اللذان يجب أن يعتقدهما المسلم ويعمل بهما، وهما من الرجاء المشروع، وهذا الرجاء هو الذي يبعث العبد على فعل الطاعات والإكثار منها، وعمل كل ما يقرب إلى الله تعالى،

وبه يحذر من الوقوع فيما يسخط الله تعالى ويغضبه، قال تعالى مؤكداً هذا المعنى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى فيمن اتصف بهذه الصفة الشرعية المحمودة، والخصلة العقدية المهمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] .

وروى مسلم في صحيحه، عن جابر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ - قبل موته بثلاث - يقول: " ولا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن" ^(١). وجاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي" ^(٢). ويقول سبحانه مبيناً ضرورة الرجوع إليه والتوبة والإنابة، وفي حال ذلك يفرح المؤمن بما أعده الله تعالى لهؤلاء التائبين: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] .

(١) رواه مسلم في الفتن رقم (٧٤١٠).

(٢) رواه البخاري في بدء الوحي (٧٤٠٥) باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) .

أيها المسلمون!

فرصة عظيمة، ومنحة جلييلة لمن أذنب ذنباً، أو قصّر في حق من حقوق الله تعالى، أو اقترف إثماً أو خطيئة أن يقدم توبة صادقة لله عز وجل، وأن ينيب إليه، ويعزم على أن لا يعود إلى معاصيه مرة أخرى، فإن قام بذلك فالله سبحانه قد فتح أبوابه للتائبين، والراجين، فهو يغفر الذنوب جميعاً، بل ويبدل السيئات حسنات، فأين المقصرون ليرجعوا إلى ربهم، ويستغلوا هذه المنح العظيمة والنعم الكبيرة؛ ليسبغ عليهم ربهم رحمة من عنده ومغفرة؟

وفرصة أعظم ومنحة أجل لمن تفضل الله تعالى عليهم بعمل ما استطاعوا من الأعمال الصالحة، فسابقوا ونافسوا، فعليهم الإكثار والزيادة، وليبشروا ويأملوا بما أعده الله تعالى لهم من الخير العميم والفضل الواسع، وزيادة الأجور، ومضاعفة الدرجات والمنازل العلى في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون!

هذه الدنيا دار الأعمال، والمسابقة إلى الخيرات والتنافس في الطاعات، فالإلى متى الإهمال وتضييع الأوقات، والتساهل في الواجبات فضلاً عن النوافل والمستحبات؟

عجباً لأقوام أنعم الله تعالى عليهم، وجحدوا، وأسبغ عليهم الصحة، فانشغلوا وتشاغلوا، ومنحهم القوة والشباب ففرطوا وأضاعوا،

فالله الله في العودة إلى الله، قبل الندم، ولات ساعة مندم، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ
بَحَسْبِيَ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] أو تقول: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فاتقوا الله، عباد الله! وسيروا بأعمالكم بين
خوف عقاب الله، ورجاء رحمته وثوابه.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأستغفر الله لي
ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، أحمده سبحانه، وأشكره شكر العبد التواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المصير والمآب، أما بعد :

أيها المسلمون!

أما أصحاب القسم الثالث من أهل الرجاء، وهم الذين انغمسوا في شهواتهم، وتمادوا في خطاياهم، مصرين عليها، أو مجاهرين بها، ولم يتوبوا منها، فهم يرجون رحمة الله بلا عمل يعملونه، ولا توبة يقدمونها، فهذا رجاء كاذب، بل هو غرور وتمنٍ، وهؤلاء كمن لا يحافظ على الصلاة، ثم يقول: إن الله غفور رحيم، أو يجاهر بالربا، ويتعامل به ويقول: إن الله عفو كريم، أو يلهو مع اللاهين، ويعبث مع العابثين، ويقول: إن الله أكرم الأكرمين، فهؤلاء وأمثالهم قد أخطأوا على أنفسهم، وغرتهم الأمانى، ووقعوا في شرك الشيطان، وخداع النفس الأمارة بالسوء، فليتنبه هؤلاء وأولئك، ويعلموا أن رجاء رحمة الله بلا عمل رجاء مذموم، ولا يزعم زاعم بأن هذا الرجاء الكاذب من حسن الظن بالله، فهذا خداع شيطاني، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وقد

تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأن حسن الظن إن حمل على العمل، وحث عليه وساعده وساق إليه، فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة فهو غرور، واجتراء على الله تعالى).

أيها المسلمون!

إن المؤمن في هذه الحياة يسعى جاداً في أعماله الصالحة، وتركه للذنوب والمعاصي يحدوه الخوف من الله تعالى وعقوبته، ويحثه الرجاء، ويحركه ذلك إلى الإنتاج والعمل، فاجمعوا بين الأمرين في هذه الحياة، واعملوا بهما جنباً إلى جنب، فمع العمل والسعي يرجى الثواب، ويخشى من عدم قبوله، ومع الذنب والخطأ الإسراع بالتوبة والإنابة، ويرجى قبولها، ويخشى ردّها، وما دام العبد في هذه الحياة عاملاً، فليغلب جانب الخوف، وإذا ما حضرته الوفاة غلب حسن الظن بالله ورجاء ما عنده ثقة بموعوده، فاعملوا وأبشروا وأملوا، فإن خزائن الله مלאى، ورحمته واسعة، وجوده لا يحد، وكرمه لا يعد، وعطاؤه لا ينفد، وهو غفور رحيم، جواد كريم، يحب الطائعين، ويقبل توبة التائبين، ويغفر للمستغفرين (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته بأرض المهلكة يخشى أن يقتله فيها العطش) كما روي عنه عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَنِ رَبِّكُمْ أَنَّ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّاسَ الَّذِينَ

ءَامِنُوا مَعَهُ، تُورِثُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمِنُ بِهِمْ يَقُولُونَ رَسَنًا أَتَيْتُم لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم: ٨].

وصلوا وسلموا على نبينا محمد حبيب الله وخليفه المحمد، كما
أمركم الله في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٨﴾

من مقتضيات العقيدة : الشكر

الخطبة الأولى

الحمد لله على فضله وإحسانه، امتن علينا بنعمه وآلائه، أحمده سبحانه حمد الشاكرين، وأشكره شكر العارفين، وأشهد أن لا إله إلا الله الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، وقدوة الخلق أجمعين، عبد الله حق عبادته، وشكره حتى تشقق جلد قدميه الشريفتين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله حق تقواه، فيها تبلغوا درجة الأوابين، وعن طريقها تكونوا من الشاكرين.

أيها المسلمون!

في تقلب الأيام ومروورها، تتقلب الأحوال، ويعيش المسلم في هذه الحياة بين أفراح وأتراح، وسرور وأحزان، وانقباض وانشراح، ورخاء وشدة، وسعة وضيق، وصحة ومرض، وغنى وفقر، وسعادة وشقاوة.

وفي مسيرة الإنسان في هذا الزمن، خطوب ومشاق، ومعاناة واشتياق، وفي النفوس نوازع شهوة وهوى، وفي الصدور أنفة من جوى.

والمؤمن في جميع هذه الأحوال، وسائر هذه التقلبات يسير بخطى ثابتة، إلى الله والدار الآخرة، على منهج ثابت، وعقيدة واضحة راسخة، وطريق مستقيم لا تلهيه الصحة، ولا يبطره الغنى، ولا تشغله ملاذ الحياة، وفي الوقت نفسه لا يضيق من بلاء، ولا يسأم من فقر، ولا يكتئب بما قدره الله عليه.

هذا المنهج القويم، والنظرة الفاحصة، والعقيدة البينة، وضحه وجلاله ما صح عن النبي ﷺ بقوله: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن" (١).

كلمات قليلة الألفاظ، جامعة المعنى، مليئة الدلالة، تملأ حياة المسلم بهجة وسروراً، وتنير له دربه ومسلكه، وتوضح له طريقه، وتجعل قلبه ثابتاً راسخاً مؤمناً بربه، شاكراً لنعمائه، حامداً لفضله، صابراً على ما يقدر عليه من المصائب. أيها المسلمون!

ألا ترون أولئك المتخبطين في ظلمات الحياة وسعتها؟ تضيق أحشائهم بخسارة مالية، وتنقبض صدورهم لبلوى تصيبهم، ويعلوهم الاكتئاب لما يعترضهم من أمراض، ويتحسرون على ما فاتهم،

(١) رواه مسلم برقم (٧٦٩٢) كتاب الزهد.

ويحسدون غيرهم على تفضل الله تعالى عليهم بنعمه، وقد يصل بهم الأمر إلى التخلص من النفس بالانتحار، وفي الوقت نفسه يبطرون حين ينعم الله عليهم، ويستعملون هذه النعم فيما حرم الله تعالى عليهم. أيها المسلمون!

إن من مقتضيات عقيدة المسلم وإيمانه بربه أن يمشي على المنهج السليم الذي رسمه له، والطريقة التي ارتضاها له، فيشكر الله تعالى على نعمه التي أنعم بها عليه، والتي لا يستطيع حصرها، ولا تصوورها ابتداء: من خلقه سبحانه وإيجاده في هذه الحياة، وتفضيله على سائر المخلوقات، وتسخير الكون كله لخدمته، وإنعامه عليه بنعمة الهداية والإيمان، والتمسك بالإسلام، وسلوك الطريق المستقيم، وهدايته له، وبعده عن طرائق الانحراف والضلال، ثم إنعامه عليه بتلك النعم الأخرى، كنعمة الصحة والعافية، والأمن والأمان، والرزق والعيش الرغيد، والقوة والنشاط، والفتوة والشباب، وسلامة الحواس والأعضاء، والعيش بين الأهل والعشيرة، ونعمة السكن والإيواء، والعقل والرشد، نعم كثيرة لا يعدها عاد، ولا تحصيها حسابات، ولا تصفها بلاغة متحدث، ولا يتصورها خيال أديب، ولا عقل أريب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]،

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) [النحل: ٧٨].
أيها المسلمون!

إن موقف المؤمن من هذه النعم الكثيرة التي لا تحصى أن يشكر المنعم المتفضل بها، يشكره بقلبه ولسانه وجوارحه، والله سبحانه وتعالى أمرنا بهذا الشكر، وحثنا عليه، وأثنى على أهله، وجعله سبباً للمزيد من فضله وإحسانه، وحافظاً لنعمه، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، وسمى نفسه سبحانه : (الشكور) قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] وقال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال جل من قائل : ﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِنَّ إِلَهَهُ لَتَرْجِعُنَّ﴾ [العنكبوت: ١٧].

أيها المسلمون!

حقيقة الشكر التي يجب أن يقوم بها العبد الشاكر تقوم على ثلاثة أركان: أحدها: اعتراف العبد بنعم الله تعالى عليه في قرارة قلبه، فيقر بأن هذه النعم كلها من الله سبحانه وتعالى تفضلاً وإحساناً، ومنه وكرماً، لا بحوله، ولا قوته، ولا بذكائه أو قدرته، ولا بنسبه أو خلته، ولا بمكره أو تخطيطه، أو بعلمه، والثاني: التحدث بهذه النعم ظاهراً بلسانه، فيثني على الله تعالى، ويكثر من حمده وشكره، ولا ينسب النعم

إلى غيره، فإن خالف ذلك تشبه بقارون عندما قال عن أمواله التي رزقه الله إياها ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨] وذلك عندما نصحه قومه عن البطر والفساد في الأرض، فكانت النتيجة أن خسف الله به وبداره الأرض، والأمر الثالث الذي لا يتم شكر العبد لربه إلا به: الاستعانة بهذه النعم كلها على طاعة الله تعالى سبحانه، والحذر من استعمالها في معصيته، فيستغل نعمة الشباب والقوة والصحة بكثرة العبادة، والتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، فتراه قائماً راکعاً ساجداً صائماً، كما يستغلها بطلب العلم والجد فيه، وحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما يستغلها في العمل والإنتاج المباح، ويستغل نعمة الأمن والأمان والعيش الرغيد بالمزيد من أفعال الخير والبر، ويستغل نعمة المال بكثرة الإنفاق والتبرع في وجوه الخير المتعددة، وأعمال البر الكثيرة، وأن يحذر العبد من استعمال هذه النعم وغيرها في معصية الله تعالى، كالذي يستعمل ماله بأكل المحرمات، وتناول المسكرات، والتعامل بالربا، والذي يستعمل جوارحه وقوى جسمه في ارتكاب الآثام، كالنظر إلى المحرمات، والزنا، أو الغيبة والنميمة وغيرها، ومن فعل، فقد كفر بنعم الله تعالى.

فاتقوا الله، عباد الله، واشكروه بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم يزدكم نعمة وقوة، نفعي الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة رسوله، وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وعد بالزيادة لمن شكر، وتفضل بقبول من دعا واستغفر، أحمده سبحانه على فضله المدرار، وأشكره على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير عباد الله الشاكرين، وسيد الأوابين والمستغفرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وعلى منهاجهم اقتفى وسار.

أما بعد : عباد الله ! إن من يتَّصف بهذه الصفة الحميدة، ويقوم بهذا الشكر، فله الجزاء الأوفى، جزاؤه الزيادة من فضل الله ونعمه ، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ثم إن هذه صفة سيد الأولين والآخرين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فقال عن نفسه: (أفلا أكون عبداً شكوراً) ^(١) كما جاء ذلك في الصحيحين، فالشاعر مقتد به سائر على خطواته وعلى خطوات أصحابه وأهل الإيمان به الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]، جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أوصى معاذاً رضي الله عنه فقال: " يا معاذ! إني أحبك، فلا تنس أن

(١) رواه البخاري برقم (١١٣٠) كتاب الزهد باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم في ترم قدماه، ومسلم في صفات المنافقين (٧٣٠٢).

تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (١).

أيها المسلمون!

ليس من صفات المؤمنين حقاً أن ينسوا أو يتناسوا أو يغفلوا أو يتشاغلوا عن شكر خالقهم سبحانه، فيقعوا في كفران النعمة، فيبدل الله أمنهم خوفاً، ونعمهم نقماً، وغناهم فقراً، وشبعهم جوعاً، وقوتهم ضعفاً، ونور طريقهم تخبطاً وضلالاً وتيهماً، وقد قص الله علينا حال كثير من الأمم التي كفرت بأنعم الله مع قوتها وجبروتها وطغيانها وعـدتها ﴿فَآذَقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] ، وهذه سنة الله ثابتة لا تتغير عندما يكفر الناس بنعم الله تعالى.

أيها المسلمون!

إن من يستعمل نعم الله المالية أو البدنية أو الصحية أو غيرها في معاصي الله، أو لا يقوم بحقوق الله الواجبة عليه، أو لا يستعملها فيما أحل الله سبحانه، أو يصل به الأمر إلى أن يسندها إلى غير الله تعالى، كأن يسند هذه النعم إلى ذكائه وحرصه ومتابعته وغير ذلك، أو لا يعترف بأنها من عند الله، أو تغره وتبطره، وتجعله يتكبر على غيره،

(١) رواه أبو داود في الوتر (١٥٢٢) باب في الاستغفار، والنسائي برقم (١٣٠٣) وأحمد برقم

ويمتن بها على عباد الله، فيتعالى عليهم ويتجبر ويظفي، كل هؤلاء وأمثالهم وقعوا في كفران النعمة، ويخشى أن تحل بهم العقوبة كما حلت بغيرهم من أمم الكفر قديماً وحديثاً.

فاتقوا الله، عباد الله، واشكروا نعمة ربكم، وتخلقوا بهذا الخلق العظيم، واستعملوا جوارحكم بطاعة الله، وأموالكم بالإنفاق في سبيل الله، واستغلوا صحتكم فيما يقربكم إلى الله، والهجو بالستكم بالذكر والشكر لله، واسألوا الله المزيد من فضله وإحسانه، وصلوا وسلموا على خير الشاكرين، نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، كما أمركم المولى الكريم في كتابه العظيم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

من مقتضيات العقيدة : الصبر

الخطبة الأولى

الحمد لله رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق الناس من تراب، أحمده سبحانه الكريم الوهاب، وأشكره على نعمه وآلائه شكر العبد الأواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم الحساب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من صلى وصام وصبر وصابر ودعا وأناب، صلى الله عليه وسلم وعلى آل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم إلى يوم المصير والمآب.

أما بعد : عباد الله ! اتقوا الله، فإن تقواه سبب للنجاة من العذاب، وموصلة إلى دار المتقين بغير حساب.

أيها المسلمون! خصلة حميدة، وخلة كريمة، ومقتضى من مقتضيات العقيدة، وشعبة من شعب الإيمان، لا يقوى عليها إلا الأفذاذ، ولا يتحلى بها إلا الموفقون، ولا يصطبغ بها إلا أقوياء الإيمان، جاء ذكرها مقترناً بخصلة أخرى تكملها هي شكر الله على نعمه وآلائه ومننه وكرمه، فيشكر العبد ربه مولاه على ما متعه من النعم وأسده، ويحذر من كفرانها والعبث بها، وجحدانها وصرفها لغير الله تعالى.

أما إذا أصيب المسلم بقدر من أقدار الله المؤلمة، وحلت به مصيبة أو اجتاحت ماله وحلاله جائحة، أو فقد عزيزاً أو محبوباً، أو تعرض لمرض وذهاب عَرَض، فهذه المحن ليس لها دواء إلا الصبر عليها، وإن بعد العسر يسراً، وبعد الشدة فرجاً، وبعد الضيق مخرجاً. أيها المسلمون!

إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس في هذه الحياة ولم يتركهم سدئ يعيشون فوق هذه الأرض كيف شاؤوا، لا يعرفون رباً، ولا يعتنقون ديناً، ولا يحكم سلوكهم أخلاق وآداب، بل خلقهم وكلفهم وابتلاهم على هذا التكليف، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ [المالك: ١، ٢] وقال سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ (٢)﴾ [العنكبوت: ١] فكلفهم الله سبحانه وتعالى بعبادته فوق هذه الأرض التي استخلفهم فيها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعباداة الله سبحانه: أمر ونهي، فعل وترك، قيام بأوامر الله تعالى، واجتناب لزواجره ونواهيه، ومن رحمته سبحانه أنه دل عباده على الخير وسبله، ليعرفوه، ويقوموا به، ويتصفوا به، ويبادروا إلى المسابقة فيه، وعرفهم الشر، ليركوه ويتعدوا عنه، وجعل الخير موصلاً إلى جنته ورضاه، وحف ذلك بالمكارة، وجعل الشر موصلاً إلى عذابه وعقابه،

وحف ذلك بالشهوات والأهواء، فكلُّ من عمل الخير، وترك الشر يحتاج من العبد إلى مجاهدة ومصابرة، صبر على فعل الطاعات، وامتنال الأوامر، وفعل القربات، وصبر على ترك المعاصي والسيئات، والابتعاد عن المكروهات والمشتبهات، وصبر على أقدار الله الجارية التي تخالف الرغبات، ويأتي على الملذات والمحجوبات، وتعارض ما يريده العبد من الشهوات.

فهذا الصبر عامل أساس، وعنصر مهم، ووسيلة لا غنى للمسلم عنها في دروب الحياة؛ ليخرج منها سالماً غانماً.
أيها المسلمون!

لا شك أن طاعة الله تعالى، وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر عليها؛ لأن منها ما تنفر منه النفس بسبب الكسل والخمول، والضعف والفتور كالصلاة، أو تنفر عنه النفس بسبب البخل والشح، وحب المال، وطغيان المادة كالزكاة، أو سببهما جميعاً، كالحج والجهاد، أو تنفر عنه النفس بسبب خور النفس، وعدم عزميتها، وضعف إرادتها أمام شهواتها، كالصيام، أو بسبب الخوف والوجل، أو الاستحياء والخجل، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى الله تعالى، والنصيحة لعباده، وغير ذلك من الطاعات والقربات، فكلها تحتاج إلى عزيمة وصبر ومصابرة، فلا تنال الدرجات العلى وجنان الفردوس إلا بهذا الصبر.

ولا شك - عباد الله - أن عزيمة النفس تجاه المعاصي بأنواعها صغارها وكبارها، وبخاصة ما تميل إليه النفس وترغبه وتهواه - ولو كان في ذلك مضرة لها - فأمام زيادة المال أضعافاً مضاعفة بالربا والحيل والرشوة والتدليس، تحتاج النفس معه إلى إحكام زمامها وخطامها، وأما شهوات النفس تجاه الزنا ودواعيه، تحتاج النفس معه إلى ردعها وإرغامها على تركه، وأمام رغبات النفس تجاه النيل من الآخرين وخذش أعراضهم والتلذذ بأكل لحومهم من غيبة ونميمة وكذب وحسد وحقد وبغض وشحناء تحتاج إلى كبحها وردها إلى الجادة والطريق المستقيم وغيرها من المعاصي والسيئات تجاه الخلق والخالق.

والنفس بطبيعتها ميالة إلى رغباتها وشهواتها:

والنفس راغبة إذا رَغِبَتْهَا وإذا تُرِدُّ إلى قليل تَقْنَعُ
وقد تنجر وراء أشياء محرمة ومكروهة، فما أحوج المؤمن إلى إرغام نفسه بترك هذه الشهوات المحرمة والابتعاد عن الأفعال المكروهة والمشتبهة، وما أحوجه إلى الصبر عنها، وبخاصة ما يثقل على النفس كالغيبة والكذب والمراء، والثناء على النفس تعريضاً أو تصريحاً، وكذا الازدراء والسخرية والاحتقار، والحرص على المال والجاه والمنصب ونحوها.

أيها المسلمون!

والإنسان في هذه الحياة لا يدري ما يعترضه من أقدار الله سبحانه التي لا تقع باختياره من الأمراض المؤلمة، والمصائب المتوالية، وموت القريب، وفقدان الحبيب، وتقطع السبل والحيل، وقلة ذات اليد، واجتياح المال والخسارة فيه، والابتلاء بالحسد وأهل الحقد والغيرة، وغير ذلك، مما يقدره الله سبحانه وتعالى لحكمة يعلمها، يتبلي عباده بذلك للوصول إلى النتيجة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، والنفس تميل إلى التسخط والجزع والاعتراض على المقدور، وهذا يحتاج إلى مقاومة ومجاهدة بالصبر والرضى، وأن يعلم المؤمن أن (ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) ^(١) كما قال عليه الصلاة والسلام، وليعلم أن كل شيء يكون في هذه الحياة من خير أو غيره إنما يتم بقدر الله تعالى المكتوب في اللوح المحفوظ ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]. والمؤمن الواثق بربه المتمسك بدينه، الراضي بما أصابه، الشاكر لمولاه هو الذي ينطبق عليه قوله عليه الصلاة والسلام: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢١٤٤)، كتاب القدر، باب لا عدوى ولا هامة وأحمد برقم

له، وليس ذلك إلا للمؤمن" ^(١).

اللهم ارزقنا الصبر، وأعنا عليه، واجعلنا من عبادك الصابرين
الراضين الشاكرين.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه ﷺ، وأقول قولي هذا،
وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم في الزهد (٢٩٩٩) باب المؤمن أمره كله خير.

الخطبة الثانية

الحمد لله أهل الحمد والثناء، يضل بعدله ويهدي بفضله، من اهتدى من عباده فلنفسه سعى، ومن عذاب الله نجا، ومن أعرض وأبى فعلى نفسه جنى، أحمدته سبحانه وأشكره، فله الحمد والشكر في الأولى والأخرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الطول والغنى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أنقذ به من الضلالة، وهدى به من العمى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وعلى طريقهم سار واقتفى.

أما بعد: فاعلموا عباد الله! أن الصبر يعتمد على أساسين هما: قوة اليقين، وقوة الإرادة. وقال بعضهم: الصبر هو قوة الاستعانة بالله تعالى.

وقال ابن القيم رحمه الله: (الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية). فالله سبحانه وتعالى ابتلى العبد، لا ليهلكه، ولكن ليمتحن صبره وعبوديته. لذلك كان الأنبياء والرسل أكثر الناس بلاءً. وأنه لا غنى للمسلم عن التحلي بفضيلة الصبر، والتخلق بها، والعمل الجاد للتحلي بها، وأن الطاعات بأنواعها من صلاة وصيام ونفقة وقربى، وقراءة وذكر،

وعمل بمعروف وأمر به، ونهي عن منكر واجتنابه، ودعاء ورجاء، وطلب ومناداة للخالق لا تكون إلا بالصبر، فهذه أولى الخطوات للوصول إلى درجة الصابرين.

وثانيها: استحضار عظمة الخالق، وتذكر أن ما يجري في هذا الكون كله من تقديره وتدبيره، وأن ما دبره وقدره كائن لا محالة، وهو الذي يتصرف بالكون كله، فإذا ذكر العبد ذلك هانت عليه الأمور، وأصبح في عداد الصابرين.

وثالثها: استحضار ما أعدّه الله من ثواب عظيم وأجر مديد للصابرين، اسمعوا ماذا قال الله في ثوابهم: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] ويقول في بيان مضاعفة الأجر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] وأجرهم لا يحده حدود، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ومن صبر كان الله معه، ومعه الفوز والفلاح في الدارين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] بل بصبرهم جعلهم الله أئمة مهتدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا مَرْيَمُ لِمَا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤].

أيها المسلم!

يا من ابتليت بشيء من المرض، أو بفقد الحبيب، أو موت القريب، أو بتعرض في أحوال المعيشة والرزق، أو بتعب الأولاد والذرية، أو بابتلاء الحسدة وأهل الغيرة! يا من ضاقت بهم السبل، وأعجزتهم الحيل! يا من اشتد بهم الكرب، وعلاهم الضيق والعسر! يا من علتهم الهموم، واكتفتهم الأحزان، وسيطرت عليهم الأوهام! يا من ابتعدوا عن الأهل والعشيرة، وتغربوا عن الأوطان! تذكروا أن لكم في الصبر ملاذاً، ولكم في الله رغبة والتجاءً، وطمعاً في جنته ورضاه، وطريقكم إليه الصبر والرضا، وتذكروا تلك الفضائل تفوزوا بها. واعلموا أن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها خطاياها" (١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة" (٢).

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٦٤١-٥٦٤٢) كتاب المرض باب ما جاء في كفارة المرضي وأحمد رقم (٨٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٩) كتاب الزهد، باب الصبر البلاء والحاكم في المستدرك برقم (١٢٨١) وقال صحيح على شرط مسلم.

واعلموا، رحمكم الله تعالى، أن الصبر عند الصدمة الأولى، كما ورد ذلك عن النبي ﷺ، فالصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند نزول المصيبة، وعند شدتها وحرارتها، أما إذا بردت المصيبة، فكل لا بد صابر، ثم ليقل المصاب كما أمره الله تعالى ونبه ﷺ: (إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجزني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف له خيراً منها)^(١).

ثم اعلموا أن كل مصاب في هذه الدنيا له عبرة في من هو أكثر منه مصيبة وبلاء، فالمرض ليس واحداً، والابتلاء متنوع، والفقر درجات، واغتنموا وجودكم في هذه الحياة؛ لتقتدوا بخير الصابرين، وقدوة المؤمنين، ابتلي بأنواع الابتلاء، فقد أباه قبل ولادته، ثم أمه وجدّه، ثم عمّه، وزوجته، ابتلي بصد قومه، وأذيتهم له، وتضييقهم عليه وعلى أصحابه، وابتلي بقلّة ذات اليد، حتى ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وبعداوة العشيرة والأقارب، ثم بجرحه ومرضه وشدته عليه، فصبر وصابر وشكر، فلكل مصاب فيه قدوة، بل لكل مسلم ومسلمة فيه أسوة، فاقصدوا به، وصلوا عليه. كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) رواه مسلم في الجناز، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨).

استشعار عظمة الله

الخطبة الأولى

الحمد لله وحده لا شيء قبله، ولا شيء بعده، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، قدر الليل والنهار، وقدر القمر منازل، لتعلموا عدد السنين والحساب، أحمد سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الدنيا والآخرة، وإليه المآب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه للناس كافة بشيراً ونذيراً، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الحكمة والكتاب، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خير آل وأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب.

أما بعد: عباد الله! اتقوا الله تعالى، وعظموه في نفوسكم، وقوموا بما أوجبه عليكم؛ فإن الأعمار تطوى، والآجال تبنى، وأعمالكم تحصى.

أيها المسلمون!

المؤمن العاقل، والمسلم الحصيف هو الذي يقف مع نفسه متأملاً، وفي واقعه مراجعاً يوم يلقي ربه عز وجل.

والإنسان في هذه الحياة بين غادٍ ورائح قد تشغله المشاغل، وتلهيه متع الحياة، ويمضي عليه الليل والنهار، فيفاجئه الأجل، فلا يرى أنه قدم لله شيئاً يذكر.

ولأجل ألا ينساق مع نفسه وهواه، وألا يشغله شيطانه بمعصية ربه ومولاه، عليه أن يبحث عما يكبح جماحه عن المعصية، ويذكره حال الغفلة، ويجعله يمضي قدماً في العبادة والطاعة، فتكون حياته مليئة بما يزيد في حسناته، ويكفر سيئاته.

أيها المسلمون! أمر عظيم كبير إذا ما استشعره المسلم، وجعله نصب عينيه قاده إلى ساحل النجاة، وبرّ الأمان، ذلك هو استشعار عظمة المولى سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته، والتفكير فيها، وعقل معانيها هذا الأمر الذي غفل عنه كثير من الناس، ولم يلق له بالاً، فمثل هذا فتح المجال لهواه وشيطانه، ونفسه، فقادوه إلى المهالك، فتراه متنقلاً من معصية إلى أخرى، ينام خاتماً يومه بذنب، مستيقظاً على آخر، غافلاً عن أوامر ربه، ناسياً أو متناسياً تعاليم مولاه، تراه يتقلب في بحار الشهوات البهيمية، قلبه مليء بالشكوك الشيطانية. لا يقر له قرار في العبادة، متشاعلاً بأمور دنياه عن دينه. إن مثل هذا - عباد الله - نسي الشعور تجاه الله تعالى، فلم يقرأ كتابه الكريم المليء بالتوحيد العظيم نحو استشعار عظمة الرب الرحيم.

إذا تأمل المسلم هذه النصوص القرآنية ارتجف قلبه، وتواضعت نفسه للعلي الكبير، وخضعت أركانه للسميع العليم، وازداد خشوعاً لرب الأولين والآخرين، فهو سبحانه العظيم المهيمن الجبار المتكبر، القوي القهار، الكبير المتعال، وهو الحي الذي لا يموت، وهو القاهر فوق عباده، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، عزيز ذو انتقام، وسع كل شيء علماً، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، قد وصف سعة علمه سبحانه بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

ومن عظمتها ما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧).
 روى البخاري، وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟) ^(١). ومن عظمة الله سبحانه ما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٨١٣) في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة)، ومسلم برقم (٧٢٢٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزَّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير.^(١)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله واصفاً عظمة الله تعالى بكلام عظيم:

"يدبر أمر الممالك، ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي البحار والجو، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه، ولا تشبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه كثرة المسائل، ولا يتبرم بالحاح الملحين ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المراتب، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية؛ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ويفرج همماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسراً، ويغني فقيراً، ويهدي ضالاً ويرشد حيران، ويغيث لهفاناً، ويشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلىً، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً،

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويستر عورة، ويؤمن روعةً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، لو أن أهل سماواته، وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، كانوا على أتقى رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أول خلقه وآخرهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه، وإنسهم وجنهم وحيثهم وميتهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد، فسألوه، فأعطى كل واحد مسأله ما نقص مما عنده مثقال ذرة، تبارك وتعالى، أحق من ذكر، وأحق من عُبد، وأولى من شكر، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، هو الملك الذي لا شريك له، والفرد الذي لا نِدَّ له، والصمد، فلا ولد له، والعلي، فلا شبيه له، كل شيء زائل إلا ملكه، لن يطاع إلا بأمره ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، كل نعمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، أخذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، عطاؤه كلام، وعذابه كلام ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] سبحانه وتعالى عز وجل، فاتقوا من هذه صفاته وأفعاله، واستشعروا عظمته تفوزوا في حالكم ومآلكم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه. أقولي قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: عباد الله ! إن استشعار عظمة الله تعالى في النفوس تزيد في الإيمان، وتعمق التوحيد، وتقر العقيدة في القلب، وإذا كان كذلك ازداد العبد محبةً لله وخشيةً له، وخوفاً منه، ورجاءً له، وأخلص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد وراحته وطمأنينة قلبه في الدنيا والآخرة، وإذا استشعر العبد عظمة الله تعالى، وجعلها نصب عينيه زكت نفسه، وتهذب فؤاده، وصقل قلبه، فكان أبيض نقياً يرى بنور الله، فلا تقدم نفسه على معصية، ولا يجرؤ على فعل ذنب، أو اقتراف جريمة، فالخالق أمام عينيه يستشعر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَآ ثُوسً يَذُرُّ نَفْسَهُ ۖ وَحَرُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۖ﴾ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق: ١٦-١٨].

وإذا كان كذلك أيضاً قَبِلَ العبد وتيقن أنه ربه عز وجل، يرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فكيف بإنسان يقترب معصية، وربما جاهر بها وفاخر، والعياذ بالله؟

أيها المسلمون!

إن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي، وقد يزينها الشيطان في لحظات فتور، أو حالة انشغال عن الطاعة، فتتذكر أن الله يبصرها ويراهها، فتذكر وقوعها بين يديه، فتزجر وترعوي، وتجنب المعصية وتبتعد عنها، وإن النفوس قد تتطلع إلى ما عند الآخرين، فربما وقع فيها شيء من الحسد أو الاعتراض على قدر الله، فتتذكر أن الله تعالى هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، فتكف عن حسدها، وتنقطع عن غيها، وإن المسلم قد يقع له من أقدار الله المؤلمة، فتتناوشه المصائب، وتعتريه المكار، فيستشعر عظمة المولى عز وجل، ويعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده، فيلجأ إلى الركن الركين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتفتح له أبواب الأمل، وتنقلب المحنة منحة.

أيها المسلمون!

إن استشعار عظمة الله في النفوس ليست دعوى تنطق باللسان، ولكنه تعظيم في النفوس، وعمل بالطاعات المقربة إلى الله فرائضها ونفلها، والمسارة في ذلك.

أيها المسلمون!

إن فئة من الناس ابتلوا بالغفلة عن الله تعالى، وعدم استشعار عظمته وجلاله، فتراهم يهيمون في كل واد، ويبحرون في بحار من الظلمات، ويغوصون في المعاصي، فيفاجئهم الأجل، وهم على ذلك،

فيا لخسارتهم وهلاكهم في بعدهم عن خالقهم، وينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ (المنافقون: ٩-١١).

أيها المسلمون!

اتقوا الله ! واستشعروا عظمة ربكم وجلاله، واجعلوا ذلك قائداً لكم، وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير كما أمركم مولاكم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝﴾

صلاة التطوع

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الصلاة راحة لقلوب الأخيار، وطريقاً للسعادة في دار القرار، أحمده سبحانه وأشكره، جعل الجنة مأوى للذين اتقوا ومثوى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بادر إلى الصلاة بسكينة ووقار، ومحبة وخضوع وانكسار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقب الليل والنهار، وما تساقط ورق الأشجار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله تعالى حق تقواه في الليل والنهار، واعلموا أن الحديث عن الصلاة يحتاج إلى تذكير وتكرار، فلا يمل سماعه الأبرار، ولا تشبع منه قلوب الأخيار، وهي عروة الدين، ومفتاح جنة رب العالمين، وهي من أعظم الفرائض أثراً، وأفظعها عند الترك خطراً.

أيها المسلمون ! لقد افترض الله على الأمة خمس صلوات في اليوم واللييلة، وشرع بجانب الفرائض التقرب إليه بنوافل الصلوات، فالتطوع بالصلاة من أفضل القربات بعد الجهاد في سبيل الله وطلب العلم؛ لمدائمة النبي ﷺ على التقرب إلى ربه بنوافل الطاعات، ومن حكمة الله سبحانه ورحمته بعباده أن شرع التطوع، وجعل لكل عبادة

واجبة تطوعاً من جنسها، ليكون جبراً وتكملة لما قد يقع في الفرائض من نقص، فالصلاة منها الواجب، ومنها التطوع، والصيام منه الواجب، ومنه التطوع، والحج كذلك منه الواجب، ومنه التطوع.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا جل وعز لملائكته- وهو أعلم-: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاك".^(١)

عباد الله! التطوع هو كل طاعة ليست بواجبة، ومن حكمة الله أن شرع لكل فرض تطوعاً من جنسه، ليزداد المؤمن إيماناً بفعل هذا التطوع، وقد شرع الله التطوع في الصلاة، وهي أنواع: منها ما يشرع له الجماعة، ومنها ما لا يشرع له الجماعة، ومنها ما هو تابع للفرائض، ومنها ما ليس بتابع، ومنها ما هو مؤقت، ومنها ما ليس بمؤقت، ومنها ما هو مقيد بسبب، ومنها ما ليس مقيداً بسبب، وكلها يطلق عليها: صلاة التطوع.

عباد الله! إن صلاة التطوع لها فضائل كثيرة عظيمة منها:

(١) رواه أبو داود رقم (٨٦٤)، والنسائي برقم (٤٦٥) والترمذي برقم (٤١٣).

١- أنها سبب لرفع الدرجات، وحط الخطيئات لحديث مَعْدَانِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يَدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ" ^(١).

٢- أنها سبب من أعظم أسباب دخول الجنة بمرافقة النبي ﷺ؛ لحديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أَيْتُ مع رسول الله ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: "سَلْ"؟ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مِرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: "أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ" قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: "فَأَعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" ^(٢).

٣- أن التطوع يجلب محبة الله لعبده؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ

(١) رواه مسلم (١١٢١). كتاب الصلاة

(٢) المرجع السابق برقم (١١٢٢).

سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه" ^(١) .

عباد الله ! من السنن والتطوعات التابعة للصلوات المكتوبة: السنن الرواتب، وهذه السنن يتأكد فعلها، ويكره تركها، ومن داوم على تركها سقطت عدالته عند بعض الأئمة؛ لأن المداومة على تركها تدل على قلة دينه وعدم مبالاته، والرواتب المؤكدة مع الفرائض اثنتا عشرة ركعة؛ لحديث أم حبيبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة" ^(٢) . وجاء في تفسيرها في سنن الترمذي من حديث أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة؛ أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الفجر" ^(٣) .

وأكّد هذه الرواتب ركعتا الفجر، تقول عائشة رضي الله عنها: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر ^(٤) . ولهذا كان النبي ﷺ يحافظ عليها وعلى الوتر في السفر والحضر.

(١) رواه البخاري (٦٥٠١) كتاب الرقاق، باب التواضع.

(٢) رواه مسلم برقم (١٧٢٧). كتاب الصلاة.

(٣) رواه أبو داود برقم (١٢٥٢) والترمذي في (٤١٥).

(٤) رواه البخاري (١١٦٤) التهجد باب ما جاء في التطوع مثني مثني.

ويسن في ركعتي الفجر تخفيفها، وأن يقرأ في الركعة الأولى سورة الكافرون، وفي الثانية سورة الإخلاص؛ لفعل النبي ﷺ.

عباد الله ! حافظوا على هذه الرواتب، فإن في ذلك اقتداءً بالنبي ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وفيها جبر لما يحصل في الفريضة من خلل أو نقص.

عباد الله ! ومن السنن والتطوعات أيضاً :

٢- صلاة الوتر، ومن أهمية الوتر أنه أكد التطوعات، وذهب بعض العلماء إلى وجوبه ^(١)، وما اختلف في وجوبه، فهو أكد من غيره، فلا ينبغي تركه، قال الإمام أحمد رحمه الله: من ترك الوتر، فهو رجل سوء لا ينبغي أن تقبل شهادته.. وروى أحمد، وأبو داود مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: " من لم يوتر فليس منا" ^(٢). والوتر - عباد الله - أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة، يصليها مثنى مثنى، ثم يصلي ركعة واحدة يوتر بها، ووقت الوتر يبدأ من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، لقول عائشة رضي الله عنها: من كل الليل قد أوتر رسول

(١) وهو قول أبي حنيفة لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله قد زادكم صلاةً وهي الوتر"

أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٦٩٣) والطيالسي برقم (٢٣٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٩٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا". قالها ثلاثاً من حديث أبي أيوب.

وعند أبي داود برقم (١٤٢١) من حديث بريدة.

الله ﷺ وانتهى وتره إلى السحر^(١). وتأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل، ومن لم يثق من قيامه في آخر الليل، فإنه يوتر قبل أن ينام، فقد روى مسلم من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: "أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل، فليوتر، ثم ليرقد، ومن وثق بقيام من الليل، فليوتر من آخره؛ فإن قراءة آخر الليل محضورة، وذلك أفضل"^(٢).

ومن السنن الثابتة عن النبي ﷺ:

٤- صلاة الضحى: وهي سنة مؤكدة؛ لفعل النبي ﷺ، ولإرشاده عليه الصلاة والسلام إليها أصحابه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أوصاني خليلي بثلاث، لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر"^(٣).

وأقل الضحى ركعتان، وأكثرها لا حد لها. ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً، ويزيد ما شاء الله^(٤). ووقتها يتبدى من ارتفاع الشمس بعد طلوعها قدر رمح، ويمتد إلى قبيل الزوال، والأفضل أن تصلى بعد اشتداد الحر، لحديث

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩٦) كتاب الوتر، باب ساعات الوتر ومسلم برقم (١٧٧١) كتاب صلاة المسافرين..

(٢) رواه مسلم (١٨٠٣) في كتاب صلاة المسافرين.

(٣) رواه البخاري (١١٧٨) ومسلم (١٧٠٨).

(٤) رواه مسلم (١٦٩٨) في صلاة المسافرين.

زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال" ^(١). ومعنى ترمض الفصال: أي حين تحمى الرمضاء، فتحرق خفاف الصغار من أولاد الإبل. ومن التطوعات أيضاً:

٥- التهجد بالليل: وهي سنة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وقال تعالى في صفة المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] فهم الأيقاظ في جنح الليل، والناس نيام، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام، لا يطمعون بالكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون بالليل إلا يسيراً، ويقول تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] فهم يتركون النوم على الفرش اللينة واللحف الدفيئة في الشتاء، ويقومون لصلاة التهجد، ثم ذكر ثوابهم، فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

فإن الجزاء من جنس العمل، فإنهم لما أخفوا قيامهم بالليل أخفى الله جزاءهم.

(١) أخرجه مسلم صلاة المسافرين برقم (١٧٨٠) من حديث زيد بن بن أرقم.

قوم إذا جن الظلام عليهمو باتوا هنالك سجداً وقياماً
 خمص البطون من التعفف خُصراً لا يعرفون سوى الحلال طعاماً
 وقد حث النبي ﷺ على قيام الليل بقوله: "أفضل الصلاة بعد
 الفريضة صلاة الليل" ^(١)، وقال ﷺ: "عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب
 الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير
 للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد" ^(٢).

عباد الله! إن التطوع المطلق أفضله قيام الليل، لأنه أبلغ في
 الأسرار، وأقرب إلى الإخلاص، ولأنه وقت غفلة الناس، ولما فيه من
 إثارة الطاعة على النوم والراحة، وعدد الركعات في قيام الليل ليس لها
 عدد مخصوص لقول النبي ﷺ: "صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي
 أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى" ^(٣). ولكن
 الأفضل الاقتصار على إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، ومن
 فاته تهجده من الليل استحب له قضاؤه بالنهار؛ لقول النبي ﷺ: "من نام

(١) رواه مسلم من كتاب الصيام برقم (٢٨١٢) وأحمد في المسند برقم (٨٥١٥) من حديث
 أبي هريرة .

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٧٢) ومسلم برقم (١٧٨٢).

عن حزه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل" (١).

فيا أيها المسلم! لا تحرم نفسك من المشاركة في قيام الليل، ولو بالقليل فتداوم عليه، لتنال من ثواب القائمين المستغفرين بالأسحار، والله لا يضيع أجر المحسنين.

بارك الله لي ولكم بالقرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من البيان والحكمة، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم برقم (١٧٨٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم وسار على منهاجهم إلى يوم الدين أما بعد:

أيها المسلمون! وهناك صلوات نوافل لها أسباب تفعل إذا وجدت هذه الأسباب، ومن ذلك:

١- تحية المسجد لمن دخله، وأراد الجلوس فيه، وهي سنة مؤكدة؛ لقوله ﷺ: "إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" (١).

٢- ومن التطوعات المستحبة، وهي من ذوات الأسباب الصلاة عقب الوضوء، وهي سنة مؤكدة في أي وقت؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: "يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب التهجد بالليل، من برقم (١١٦٨)، ومسلم برقم (١٦٨٨) كتاب صلاة المسافرين.

الجنة" قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي" (١).

٣- ومن الصلوات المشروعة لسبب أيضاً: صلاة الاستخارة: لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: "إذا همم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري- أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقدريه لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري- أو قال: عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني" قال: ويسمي حاجته. (٢)

عباد الله! يقول الإمام أحمد رحمه الله: إنما حظ الناس من الإسلام على قدر حظهم في الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة. فاعرف نفسك، يا عبدالله، واحذر أن تلقى الله عز

(١) رواه البخاري برقم (١١٤٩) ومسلم برقم (٦٤٧٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١١٦٦).

وجل، ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك، كقدر الصلاة في قلبك، ألا ومن تعظيم قدر الصلاة الإتيان بالفرائض الخمس والمحافظة على النوافل من التطوعات التي تكملها وتجبر كسرهما، فهي زيادة في عمل المسلم وإتاحة للفرصة أمامه لآخرته، وليتصل بربه، ويرفع إليه شكواه وحوائجه، ويتقرب إليه، ولهذا يقول تعالى في الحديث القدسي: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه"^(١) فمحبة الله للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، ومن أدى الفرض، ثم زاد عليه النفل، وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب، وليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة، كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك.

ثم صلوا على من أمركم بالله بالصلاة والسلام عليه حيث قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠) من كتاب الرقاق، باب التواضع .

مبطلات الصلاة ومكروهاها

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي فرض الصلاة على العباد رحمة بهم وإحساناً، وجعلها صلة بينهم وبينه ليزدادوا بذلك إيماناً، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالقنا ورازقنا ومولانا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أخشى الناس لربه سرّاً وإعلاناً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله، واعلموا أن من أفضل شعائر الإسلام، ومزاياه العظام الصلاة، فلقد جعل الله سبحانه الصلاة سبيلاً موصلة له إلى قربه ومناجاته ومحبته والأنس به.

عباد الله! الصلاة عبادة يجب فيها إخلاص النية لله تعالى، واتباع الرسول ﷺ؛ ففي الحديث، عن مالك بن الحويرث، عن النبي ﷺ قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي" رواه البخاري ^(١)، فمن لم يتبع الرسول ﷺ في عباداته، فعبادته مردودة؛ لقول النبي ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٨) كتاب الآداب، باب رحمن الناس والبهائم.

أمرنا فهو رد" رواه مسلم^(١) لذا تبطل الصلاة، ويفوت مقصودها، ويجب إعادتها بقول أو فعل ما يحرم فيها من الأمور التالية:

١- الكلام عمداً في غير مصلحة الصلاة أثناء الصلاة: يبطلها؛ لما روي عن زيد بن أرقم "كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه، وهو إلى جنبه في الصلاة، حتى نزلت: (وقوموا لله قانتين) [البقرة: ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام" رواه مسلم^(٢)، ولا تبطل الصلاة بكلام في غير مصلحتها جهلاً أو خطأ، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] ولا تبطل بما يعرض للمصلي من عطاس وسعال وغيرهما؛ لأنه مغلوب عليه، وتبطل بتشميت العاطس، وكذا برد السلام، أو المبادرة به عمداً.

٢- العمل الكثير المتوالي عرفاً من غير جنس الصلاة لغير ضرورة، فإن اجتمعت هذه الأمور صار العمل مبطلاً للصلاة؛ لأنه عمل من غير جنس الصلاة، وهي منافية لها كالكلام؛ لأن الذي ينافي الصلاة يبطلها، فالمسلم ينبغي له التأدب في هذا المقام العظيم، فلا يعبث فيها بكثرة حركة من تشبيك للأصابع، وبتحريك للقدمين، وتسوية للعمامة أو العقال، أو النظر في الساعة، وتحريك الأنف، والعبث باللحية، وقد

(١) في باب اليمين على المدعى عليه، من كتاب الأقضية عن عائشة رضي الله عنها برقم (٤٤٤٧).

(٢) في باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من الإباحة، من كتاب المساجد (١١٥٥).

رأى النبي ﷺ أقواماً يعبثون بأيديهم في الصلاة، فقال: " مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذنان خيل شمس، اسكنوا في الصلاة" رواه مسلم ^(١).

٣- زيادة فعل من جنس الصلاة عمداً يبطلها: قياماً كان أو قعوداً أو ركوعاً أو سجوداً، لأن هذه الأفعال تغير هيئة الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" ^(٢) كأن يركع مرتين في الركعة الواحدة، ويسجد ثلاث مرات في الركعة الواحدة عمداً، أو يقعد في محل القيام عمداً، أو يقوم في محل القعود عمداً، وهكذا.

٤- القهقهة في الصلاة: بأن يضحك المصلي بصوت يسمعه هو أو غيره، فتبطل به الصلاة قل أو كثر، لمنافاته للصلاة تماماً، لأنه أقرب للهزل واللعب، أما التبسم بدون قهقهة، فلا تبطل به الصلاة؛ لعدم ظهور الصوت، وقد روي عن جابر أن النبي ﷺ قال: "القهقهة تبطل الصلاة، ولا تنقض الوضوء" رواه الدارقطني، ^(٣) قال ابن المنذر: أجمعوا على أن الضحك يفسد الصلاة، وأكثر أهل العلم على أن التبسم لا يفسدها.

٥- ترك ركن من أركان الصلاة، أو شرط من شروطها عمداً من غير عذر شرعي: لقول النبي ﷺ للمسيء في الصلاة: "ارجع فصل

(١) أخرجه ومسلم برقم (٩٩٦) وأبو داود برقم (١١٨٥) والنسائي برقم (١١٨٥).

(٢) مر تخريجه في الصفحة السابقة بحاشية رقم (١).

(٣) سنن الدارقطني رقم (٥٢) كتاب الطهارة باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها.

فإنك لم تصل" ^(١) رواه البخاري، فمن ترك الركوع، أو السجود عمداً مثلاً بلا عذر بطلت صلاته، وكذا من انصرف عن التوجه إلى القبلة، أو أحدث أثناء الصلاة، فصلاته باطلة.

٦- مسابقة الإمام في الصلاة: فالأصل متابعة الإمام، والعمل بعده، يقول البراء رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع لم يَخْنِ رجلٌ منا ظهره حتى يسجد ثم نسجد بعده" رواه أحمد. ^(٢) فلا يجوز مسابقة الإمام، بل ولا مساواته ومجاراته، بل يسجد بعده.

عباد الله! هذه بعض من مبطلات الصلاة، فاحذروها واتقوها، حتى تقيموا الصلاة حق إقامتها، وتحفظوها من البطلان، وحتى تكون مقبولة عند الله جل وعلا.

عباد الله! إن الصلاة قرب للعبد من الله فيها ينجي ربه، كما أخبر النبي ﷺ: "إن أحدكم إذا قام في صلاته ينجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة" رواه البخاري ^(٣).

(١) صحيح البخاري رقم كتاب الصلاة باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٩٤) وأحمد من حديث البراء بن عازب برقم (١٨٦٧٩).

(٣) صحيح البخاري رقم كتاب الصلاة باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه من كتاب الصلاة برقم (٤١٩) ومسلم رقم (١٢٥٨) كتاب الصلاة المسافرين عن أنس رضي الله عنه.

اتقوا الله - عباد الله - وأحسنوا صلاتكم، وحافظوا عليها، واستعينوا بالله من قلب لا يخشع، فقد كان نبيكم عليه الصلاة والسلام في دعائه يقول: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها" رواه مسلم^(١)، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

(١) في باب الحث على ذكر الله تعالى من كتاب الذكر والدعاء عن زيد بن أرقم برقم (٦٨٥٦). وأخرجه أحمد من حديث زيد بن أرقم برقم (١٨٩٤٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله ! ومن مكروهات الصلاة كذلك :

٣- مدافعة الأخبثين في الصلاة: لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان" رواه مسلم^(١)، وفي ذلك حكمة بليغة لما يتعلق بدفع ضرر بدني، ودفع ضرر يرتبط بالصلاة، فحبس البول أو الغائط أو الريح مُذهب للخشوع، لذا حقيق بالمصلي أن يتأهب للصلاة بما يليق مع جلال الوقوف بين يدي الله.

٤- التثاؤب في الصلاة: لما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا تئأب أحدكم في الصلاة، فليكظم ما استطاع" رواه مسلم^(٢) ويندب وضع اليد على الفم؛ لما روي عن أبي

(١) صحيح البخاري برقم (١١٩٨) كتاب المساجد .

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) كتاب الصلاة باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب من كتاب الزهد والرفائق عن أبي هريرة.

سعيد قال: قال ﷺ: "إذا تشاءب أحدكم، فليمسك بيده على فيه" رواه مسلم^(١) فالتشاؤب مكروه في كل وقت، وفي الصلاة أشد؛ لأنه من الشيطان، وهو علامة على الكسل والفتور.

٥- عدم الخشوع في الصلاة: وقد فسر العلماء قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج : ٢٣] ففسروا الدوام بسكون الجوارح والأطراف ، وقد بلي كثير من الناس اليوم بنقر الصلاة وسرقتها، فليس لهم في الصلاة ذوق، ولا لهم فيها راحة، بل إن لسان أحدهم يقول: [أرحنا منها يا إمام]، يستثقل أحدهم الوقوف فيها، وكأنه واقف على حجر يتلوى، يقول عليه الصلاة والسلام: "أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته" قالوا: كيف؟ قال: "لا يتم ركوعها ولا سجودها"^(٢) والذي ينقر صلاته كالجائع قدم إليه طعام لذيذ جداً، فأكل لقمة أو لقمتين، فماذا تغنيان عنه؟! ففي الحديث: "مثل الذي لا يتم ركوعه، وينقر سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئاً"، رواه الطبراني، وحسنه الألباني^(٣) ، والحاصل - عباد الله - أن حضور

(١) صحيح البخاري رقم كتاب الصلاة برقم (٧٤٤٠) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١١٢٩٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه بألفاظ مقاربة برقم (٦٦٥) عن أبي عبد الله الأشعري، في كتاب الصلاة، باب إتمام السجود والزجر عن انتقاصه، وذكر صاحب البيان والتعريف برقم (١٥٠٠) ٢٦٩/١، وقال: أخرجه البخاري في تاريخه، وأبو يعلى ، وابن خزيمة، =

القلب والطمأنينة هو المقصود الأعظم في الصلاة، وإلا فما قيمة صلاتك، وقلبك في كل وادٍ متشعب ما تدري ما تقول؟

هذا - أيها المسلمون - ما ينبغي أن يتحلى به المؤمن في صلاته، وهذا ما يرجى أن تتحقق معه الصلاة الحقيقية النافعة المقبولة عند الله، والتي ستكون لأهلها نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، وإن أي صلاة فقدت تلك المعاني الروحية والطمأنينة التي هي روح الصلاة حقيقة، ستقف أمامها أبواب السماء، وتُلف كما يُلَف الثوبُ الخَلْقُ، ويضرب بها وجهُ صاحبها، ويلحق بمن قال الله فيهم ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ① الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ② الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ③ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ④﴾ [الماعون: ٤، ٥، ٦، ٧] .

وما أصاب بعض المسلمين من ضعف في أخلاقهم وانحراف سلوكهم إلا لأن الصلاة غدت جثة هامدة من غير روح، وحركات ليس لها من الخير من نصيب.

فاتقوا الله عباد الله واخذروا مبطلات الصلاة ومكروهااتها لئلا تبطل صلاتكم أو ينقص أجرها.

— وابن منده، والطبراني في الكبير، وابن عساكر، عن أبي عبد الله الأشعري عن خالد بن الوليد رضي الله عنه. وإسناده حسن، كما ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢١/٢، في باب، فيمن لا يتم صلاته.

ثم صلوا وسلموا على نبيكم محمد ﷺ، فإن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

التعامل المالي وآدابه

الخطبة الأولى

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، وآلائه التي تترى، كتب الأرزاق والأقوات ومقادير كل شيء في كتاب.. لا يضل ربي ولا ينسى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والكمال والأسماء الحسنى والصفات العلى. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، خير من استمسك بالعروة الوثقى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.. ومن تبعهم بإحسان واقتدى.

أما بعد: عباد الله ! اتقوا الله ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

أيها المسلمون! خلق الله الخلق لعبادته، وشرع لهم ما تصلح به حالهم في الدنيا والآخرة، وكل شيء عنده بمقدار، فمن أسلم واتقى، واتبع سنن الهدى فاز ونجا، وسعد في الأولى والأخرى، ومن عصى وأبى، فقد هوى وانحدر في مهاوي الردى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٢) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِثَابِتٍ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ (طه: ١٢٤-١٢٧).

ومن أهم ما أنعم الله به على عباده مما يقوم عليه معاشهم في دنياهم: نعمة المال، فالمال وسيلة جعلها الله تعالى لقضاء الحوائج، وتحقيق المصالح، وهي وسيلة إلى جنته بالبذل منها في سبيل مرضاته.

أيها المسلمون! وإن من أهم المبادئ التي ينبغي للمسلم استشعارها في تعامله مع هذه النعمة: استحضر أن المال مال الله، فليس لامرئ أن يتناول ويرى لنفسه فضلاً فيما بين يديه من هذه النعمة، وقد قص الله تعالى علينا قصة قارون، وجعلها عبرة للمعتبرين إلى قيام الساعة، حيث طغى وبغى وقال فيما آتاه الله من مال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، فقال سبحانه رداً عليه: ﴿قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُؤْبِهِهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، وكانت نتيجة الطغيان والبغي والكبر والعدوان: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)﴾ [القصص: ٨١-٨٢].

عباد الله!

من أجل هذا حذر الله جل وعلا عباده من فتنة المال، وبين لهم سبحانه كيفية توقيها؛ حتى يكون المال نعمة للعبد، لا نقمة عليه، فقال

سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ تَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾. [التغابن: ١٥-١٨]

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾. [المنافقون: ٩-١١].

وقد حذر رسول الله ﷺ أمته من فتنة المال، وأرشدنا إلى ما يكون به نعمة وصالحاً للدين والدنيا، ففي الحديث المتفق عليه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المال ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة" (١).

أيها المسلمون! لقد يسر الله تعالى على عباده التعامل، فأحل لهم أبواباً كثيرة من الخير، فالأصل في المعاملات الحل إلا ما قام

(١) أخرجه البخاري (برقم ٦٤٢٧) في كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم، (برقم ٢٤٦٩) في كتاب الزكاة، عن أبي سعيد واللفظ للبخاري.

الدليل على تحريمه، ولم يأت التحريم إلا لأموال يتنادى عقلاء الأمم كلها بضررها على الأفراد والمجتمعات، وأن صلاح شؤونهم في تجنبها، لما فيها من ربا أو جهالة أو غش أو غرر أو ضرر، فحرم الشرع المعاملات التي تتضمن شيئا من ذلك، في حين أباح لهم ما لا يحصى من سائر المعاملات النافعة الطيبة التي تصلح بها حياة الناس ومعايشهم.

فحرم الله تعالى الربا؛ لخطره وضرره العظيم على الأفراد والمجتمعات، وتوعد المتعاملين به بأشد العقوبة، وأذنهم بحرب منه سبحانه، فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُهُوسُ ۚ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۚ﴾ (٢٧٩) ، بل عجل الله جزاءه في الدنيا بمحق بركته ومعاملة أصحابه بنقيض ما أرادوا، فقال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٨٠) [البقرة: ٢٧٥].

وروى الطبراني بسند صحيح، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لعن الله الربا وأكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون" (١).

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٢٣٨) ومسلم برقم (٤١٧٧) واللفظ له. وأخرجه الطبراني نحوه، وفيه: (وهم يعلمون).

ولخطورة الربا البالغة، وأهمية التحذير منه.. فلعله تُفرد له خطبة لاحقة؛ لبيان حكمه وصوره والتحذير من الوقوع فيها.

أيها المسلمون! وإن من أشد مواطن الظلم والخيانة والاعتداء على أموال الناس: أكل أموال اليتامى ظلماً، قال المولى الجليل سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [النساء: ٢]، وأرشد سبحانه من ابتلي بالقيام على شؤون اليتامى إلى ما يتقي به ظلمهم في أموالهم فقال سبحانه: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [النساء: ٦].

عباد الله!

وفي سياق الآيات نفسها نبه الله تعالى عباده على نوع آخر من الظلم قد يتهاون فيه كثير من الناس، ويحسبونه هيناً، وهو عند الله عظيم، فقال جل وعلا: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ فِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ مَقَرٍّ مِنْهُ نَقَصًا فَكُلُوهُ هُنَّ بَآئِنَاتٌ ۝٤﴾ [النساء: ٤]، فحرم الله تعالى ظلم المرأة في أخص حقوقها التي كرمها الله تعالى بها، وهو مهر زواجها، فلا يحل لزوج، أو

والد أن يستولي على شيء منه إلا بطيب نفس منها، وفي بيان عظم هذا الحق في الحديث المتفق عليه، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج" ^(١).

فليحذر الأولياء من ظلم النساء في حقوقهن.

أيها المسلمون! ومن المكاسب الخبيثة كذلك التي حرمها الشرع: كل ما فيه أكل لأموال الناس بالباطل بغش أو تدليس أو خداع، أو مماثلة بغير عذر في أداء حقوق الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨).

ومن أكل الأموال بالباطل: أخذ الرشوة، وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي، على لسان نبيه ﷺ، روى أحمد، والترمذي، والحاكم بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "لعن الله الراشي والمرتشي" ^(٢).

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٧٢١) في كتاب الشروط، باب الشروط في المهر، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. ومسلم رقم (٣٥٣٧٢) في كتاب النكاح، عن عقبة بن عامر.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٩٠١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود رقم (٣٥٨٢) والترمذي رقم (١٣٣٦) وابن ماجه رقم (٢٣١٣) وأحمد رقم (٦٥٣٢) وهو حديث صحيح.

كما حرم الله تعالى غش الناس والتدليس عليهم في المعاملات، ففي صحيح مسلم أن النبي مر على ضبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً. فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس! من غش فليس مني"، ^(١) وفي رواية: "من غشنا فليس منا".

ومن أكل أموال الناس بالباطل كذلك: مماثلة الناس في أداء حقوقهم بغير عذر، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مطل الغني ظلم" ^(٢).

والمطل: المدافعة والتأخير، والمراد هنا: تأخير ما استحق أدائه بغير عذر.

والغني المماطل يعد فاسقاً عند جمهور أهل العلم، كما ذهب بعض العلماء إلى أنه مردود الشهادة، كما عدّ بعضهم منع الحق بعد طلبه، وانتفاء العذر عن أدائه من الكبائر؛ لتسميته ظلماً.

فليحذر الغني المماطل أن يخطفه الموت فجأة، ويبقى الدين في ذمته إلى يوم القيامة، وقد صح عن النبي ﷺ امتناعه عن الصلاة عمن مات وعليه دين، كما صح، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٩٥) في كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٢٨) في كتاب الحوالات، باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة، برقم (٤٠٨٥٢)) ومسلم رقم (٤٠٨٥٢) في كتاب المساقاة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ قال: " من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه".^(١)

فاتقوا الله، عباد الله.. وتجنبوا هذه الصور المحرمة ؛ ففي الحلال غنية عما حرم الله تعالى.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بسنة خاتم المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٥٣٤) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ومسلم رقم

(٦٧٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله!

لقد جاءت الشريعة بتحريم كل ضار وخبيث، قال الله جل وعلا: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فمن المكاسب الخبيثة: الاتجار بالمحرّمات التي حرّمها الشرع، من خمر ومخدّرات ودخان، وكل مسكر ومفتر، وكذلك آلات اللهو والمزامير، والأجهزة المفسدة والمضيعة للأموال بغير حق، من كل ضار وخبيث، وفي هذا بيان لشمول الشريعة وإحاطتها بكل ما تصلح به حياة الناس، روى مسلم من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم".^(١)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في رقم (٤٨٨٢) كتاب الإمارة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك" (١)

واعلموا- عباد الله - أن هذا المال من أفضل ما تتقربون به إلى مولاكم وتسارعون به في الخيرات، متى أخلصتم النية، وتحريتم سبل مرضاة الله فيه، قال الله جل وعلا في آيات كريمات متتاليات تضيء طريق الإنفاق في سبيل الله تعالى أمام المسلم، في بيان فضله الكبير، والتحذير مما يفسده:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٣].

وأرشد رسول الهدى ﷺ إلى ما يتضاعف به أجر الإنفاق في سبيل الله، روى أحمد، والترمذي، والنسائي، عن سلمان بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: "الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصله" (٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب رقم (٢٣٩٣) الزكاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي رقم (٢٥٨٢) والترمذي برقم (٦٥٨) وابن ماجه رقم (١٨٤٤) وأحمد

رقم (١٦٢٧٢)، وهو حديث صحيح.

وصح عن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: "أربعة دنائير: دينار أعطيته مسكيناً، ودينار أعطيته في رقبة، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الذي أنفقته على أهلك" (١).

فاتقوا الله - عباد الله - في معاملاتكم ومطاعمكم ومكاسبكم، واحذروا كل مكسب خبيث، واطلبوا الرزق من الأبواب الطيبة التي أحلها الله تعالى لكم، واصرفوه في المصارف الشرعية التي شرحها الله جل وعلا، ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا في كتابه الكريم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٨٥) في الزكاة عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: دينار أنفقته في سبيل الله... الحديث.

التحذير من الربا

الخطبة الأولى

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والطَّوَل والإنعام، أحل لعباده الطيبات، ومحق بركة الحرام، فله الحمد على لطفه وإحسانه في كل حين ومقام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحكيم العلَّام، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث الأنام.

أما بعد عباد الله: اتقوا الله حق تقواه في السر والعلانية، وفي الأقوال والأفعال والأموال.

عباد الله! إن المؤمن الصادق في إيمانه، المتبع شرع ربه، وهدي نبيه ﷺ، يعلم علم اليقين أن ما استُخلفنا فيه من الأموال والنعم الكثيرة إنما هو من عند الله وحده، ولا ينبغي أن يوضع إلا فيما أحله، وبهذا التحري في هذه النعم والأموال تحصل البركات، وتندفع النقم والشرور والآفات، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١) ﴿الأنعام: ٩٦﴾.

وكتب المولى الجليل أن يذيق بأسه ونقمته من تنكب هدايته وكفر نعمته، فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٣].

ثم بين المولى جل وعلا عقب هذه الآيات مباشرة سبيل النجاة بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

عباد الله! وقد سبق معنا بيان أن هذا المال نعمة من الله تعالى، ويجب التعامل فيه وفق شرعه سبحانه، والحذر من المعاملات المحرمة.

أيها المسلمون! ويأتي على رأس المعاملات المحرمة، وأشدّها ضرراً في حياة الناس: الربا، تلکم الآفة الموبقة المهلكة، التي تجلب لأصحابها العار والدمار، فهم في أعين الناس أهل الجشع والطمع والجور، لا تشبع بطونهم ولو جمعوا ملء الأرض ذهباً، كيف لا، وقد كتب من بيده الأرزاق والمقادير أنه يمحق الربا، فلا يجد آكله بركة ولا نفعاً، بل هو في جشع مستمر، وقلق دائم، لا يكاد يستمتع بما يجمعه من الحرام؟.

روى أحمد، وابن ماجه بسند صحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة" ^(١).

أيها المؤمنون: لقد توعد الله تعالى أصحاب هذه الآفة البشعة، والكبيرة العظيمة، بما لم يتوعد بمثله غيرها، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ^(٢٧٨) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. ﴿البقرة: ٢٧٨-٢٧٩﴾.

ووصف جل وعلا حال المرايين ومآل الربا، وما ينطوي عليه من آفات عظيمة وشرور جسيمة، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

وقال سبحانه في موضع آخر ﴿وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ^(٣٩) [الروم: ٣٩].

(١) أخرجه ابن ماجه في رقم (٢٢٢٩) التجارات، باب في التغليظ في الربا، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهذا هما انفرد به. وهو صحيح، كنا قال البصير، ويتبعه الألباني.

واستفاضت السنة النبوية بالتحذير من الربا ووصف آكله بأشنع الصفات، وتوعدهم بأشد العقوبات في الدنيا والآخرة.

فقد عدَّ رسول الله ﷺ الربا من السبع الموبقات، فقال في الحديث المتفق عليه: "اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات".^(١)

وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: "ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع - إلى أن قال - : وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله".^(٢)

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ: "لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء - يعني في الإثم -".^(٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٦٦) في الوصايا، باب قوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً)، برقم (٢٥٦٠) ومسلم في الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (١٢٩) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في الحج، باب حجة النبي (ﷺ)، برقم (٢١٣٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث طويل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في رقم (٢٤٢) المساقاة، عن جابر رضي الله عنه.

وروى الحاكم أنه عليه السلام قال: "الربا ثلاث وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه".^(١)

قال بعض العلماء: إنما كان الربا أشد من الزنا؛ لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله وبعقله، قال تعالى: ﴿فَإِذْنُوا يَحْرِبَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، أي بحرب عظيمة، فتحريمه محض تعبد، وأما قبيح الزنا، فظاهر عقلاً وشرعاً، وله روادع وزواجر سوى الشرع، فأكل الربا يهتك حرمة الله، والزاني يخرق جلباب الحياء.

وروى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي عليه السلام إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصصها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يوماً، فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة - إلى أن قال عليه السلام - فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فردّه حيث كان، فجعل

(١) أخرجه ابن ماجه في برقم (٢٢٦٦) التجارات، باب التغليظ في الربا، بلفظ "الربا ثلاثة وسبعون باباً" عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
وأخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب البيوع برقم (٢٢٥٩) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان - ثم فسر له هؤلاء بأنهم آكلوا الربا " (١).

وصح عند الطبراني، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله" (٢).

وما ذاك - عباد الله - إلا لأضرار الربا وأخطاره الويلة، التي يتنادى عقلاء الأمم اليوم بالتحذير منها، ومن آثارها على الأفراد والمجتمعات؛ أنه فساد في الدين والدنيا والآخرة، وهو استغلال بشع مبني على الشح والطمع، ولكن المرابي زين له سوء عمله، فرآه حسناً، فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

فالحذر الحذر عباد الله من هذا المرض الخطير، والآفة المهلكة؛ حتى لا تمحق بركة أموالكم، وتخسروا دنياكم وأخراكم. نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري رقم (١٣٨٦) في صحيحه في الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، عن سمرة بن جندب.

(٢) أخرجه الحاكم برقم (١٢٦١) وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني رقم (٤٦٣)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أيها المسلمون! لقد بين لنا نبينا ﷺ مواطن الربا، وأين يكون، وكيف يكون؟ ففي مسند أحمد، والبخاري أنه ﷺ قال: "الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء".^(١)

وهذه الأصناف التي نص عليها رسول الله ﷺ ألحق بها العلماء ما كان في معناها، ودل النهي على أن هذه الأصناف وما في معناها كالنقود اليوم، إذا بيع الشيء منها بجنسه، فلا بد فيه من أمرين:

الأول: القبض من الطرفين في مجلس العقد، والثاني: التساوي بأن لا يزداد أحدهما على الآخر، فإن اختل أحد الأمرين وقع المتعاقدان في الربا.

(١) أخرج البخاري رقم (٢١٣٤)، في البيوع، باب بيع الفضة بالفضة ومسلم في المساقاة، واللفظ لمسلم برقم (٤١٤٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أيها المسلمون! وإن مما شاع في معاملات الناس اليوم أخذ الزيادة وتسميتها زوراً وبهتاناً : الفائدة؛ يأخذها الدائن من المدين نظير تأجيل الدين من قرض، أو ثمن مبيع، أو بسبب تفضيل أحد المبيعين على الآخر مما يجري فيه الربا: كالذهب بالذهب، وغيره مما فيه علة الربا، وقد تكون هذه الزيادة مشروطة، وقد تكون متعارفاً عليها، كما هو حال كثير من المعاملات الربوية الشائعة التي اكتوى بنارها كثير من الناس في هذا الزمان.

فمن هذه الصور: الإقراض النقدي من شخص أو مؤسسة مالية لطرف آخر إلى أجل، مع فرض زيادة على هذا القرض تقدر بنسبة مئوية. وكذلك الفوائد التي تؤخذ مقابل تأجيل الديون الحالة على الأشخاص أو المؤسسات إلى أجل، وتتضاعف هذه الفائدة كلما تأخر التسديد.

فهذه الصور من الربا الذي كان الناس يتعاملون به في الجاهلية، ثم جاء الإسلام بالوعيد الشديد عليها، فقد كان أهل الجاهلية يقرضون الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة تزداد كلما تأخر الوفاء، كما كانوا يأخذونها أيضاً مقابل تأجيل الدين الحال إلى أجل آخر، فيقول الدائن لمدينه: إما أن تقضي أو تُرَبِّي.

عباد الله! وقد اتسعت المعاملات في زماننا اتساعاً كبيراً، واختلط الحق بالباطل في كثير منها، وكثرت الشبهات، والتبست الأمور على

الناس، وقد جاء في مستدرك الحاكم، وسنن أبي داود، وابن ماجه، والنسائي، وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره".^(١)

فمن صور الربا المعاصر أيضاً: أن يقوم بعض الأشخاص أو المؤسسات المالية بتمويل بعض المشروعات العمرانية أو الزراعية أو الصناعية ونحوها بما يلزمها من المواد بسعر السوق وقت العقد، أو الطلب على أن يرد صاحب المشروع للممول هذا المبلغ مع زيادة مقدرة بنسبة مئوية مقابل ذلك.

ومن الصور الربوية أيضاً: بيع عملات الدول المختلفة عملة بأخرى دون تسليم وقبض المبيعين، أو أحدهما في مجلس البيع، وبيع الذهب بالأوراق النقدية دون قبض.

فعلى المسلم أن يجتهد في التحرز لماله إذا أراد الدخول في هذه المعاملة ومعرفة ضوابطها الشرعية، وما يحل منها وما لا يحل. فإن أشكل عليه منها شيء سأل العلماء ليستبرئ لدينه، وليحذر كثيراً مما يجري من المعاملات التي تسمى بغير اسمها.

كما يجب الحذر من تتبع الرخص، فمن الناس من همّه تتبع

(١) أخرجه أبو داود رقم (٣٣٣) والنسائي رقم (٤٤٥٥) وابن ماجه رقم (٢٢٧٨) كتاب التجارات، باب التغليظ في الرب والحاكم المستدرك رقم (٢١٦٢).

الرخص، فتارة يسأل هذا، وتارة يسأل ذلك، فيجب على المسلم في سؤاله أن يسأل من يثق بعلمه وديانته، لا أن يتنقل بين المفتين، حتى يجد الفتوى التي يأنس لها، ويرغب فيها، فيكون متبعاً لهواه.

فاتقوا الله، عباد الله! في معاملاتكم ومطاعمكم ومكاسبكم، واحذروا كل مكسب خبيث، واطلبوا الرزق من الأبواب الطيبة التي أحلها الله لكم، قال رسول الله ﷺ: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر رسول الله ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك.^(١)

فاتقوا الله عباد الله وصلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله في محكم كتابه الكريم حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٩٣) في الزكاة، وأخرجه الترمذي رقم (٢٩٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

و أحمد في مسنده برقم (٨٣٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الإحسان

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أمر بالإحسان وأخبر أنه يحب المحسنين، أحمدته سبحانه وأشكره على فضله وإحسانه العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المطلع على الخلق أجمعين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد :

عباد الله ! اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، فإن أجسامكم على النار لا تصبر ولا تقوى، وأحسنوا إلى أنفسكم وأسركم ومجتمعكم تفلحوا في الآخرة والأولى.

أيها المسلمون! بعث النبي ﷺ في مجتمع جاهلي، لا يسوده نظام، ولا تحكمه شريعة، ولا يسري فيه أخلاق، سمته العامة وشعاره الظاهر: القوي يأكل الضعيف، والغني لا يرعى حال الفقير، فبعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ ليصحح للناس عقائدهم، ولينشر الأخلاق الحسنة بينهم، وليجعل لهم في هذه الحياة غاية، تحكمهم شريعة واحدة ونظام واحد، العلاقة بينهم أساسها المحبة والمودة، والأخوة

والإحسان، الكبير يعطف على الصغير، والغني يسد حاجة الفقير، والقوي يرحم الضعيف.

بُعث رسول الله ﷺ لينشر كل معاني الخير والسعادة والطمأنينة سواء في علاقة العبد مع ربه، أو مع الناس.

أيها المسلمون! من هذه المعاني الخيرة، والمبادئ السامية التي رسخها الإسلام في نفوس أتباعه، وعمقها رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه: الإحسان، الإحسان في كل شيء، بكل ما تحمله هذه الكلمة العظيمة من معاني سامية ومدلول نبيل.

جاءت الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة بالأمر به، والحث عليه بصيغ متفاوتة، وعبارات متعددة، بالحث عليه صراحة، وبيان ما يترتب عليه أخرى، ويعظم الأجر لمن قام به، وبتوضيح معانيه ومدلولاته.

الإحسان - عباد الله! - يتناول معاني عظيمة، فأسماءها وأعلاها وأجمعها: الإحسان فيما بين العبد وبين ربه، يصور هذا المعنى العظيم رسول الله ﷺ في عبارات موجزة، مليئة الفوائد، قوية الدلالة، تجعل الفرائض ترتعد وقوفاً عندها، سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ

عن الإحسان، فقال له: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " رواه مسلم. ^(١)

تصور أخي المسلم! أنك واقف أمام من هو عظيم من البشر لديك، تقدره وتحترمه، وتخشى وتخاف منه- والله المثل الأعلى- كيف أنت صانع بهيئتك ولباسك، وكيف تحسب وتراقب ألفاظك وعبارتك، وكيف تصغي إلى أوامره وتوجيهاته؟!

كذلك الإحسان مع الله تبارك وتعالى تقوم بعباداتك كلها مستشعراً أن الله سبحانه معك يراك، ويطلع على ظواهرك وبواطنك، يطلع على خواطر النفس وألفاظ اللسان، وحركات الجوارح، يطلع على العمل والنية، فماذا أنت فاعل حين تستشعر هذا الأمر، وأنت تؤدي عبادتك من صلاة وصدقة وصيام وحج وبر وصلة وغيرها؟ لا شك، ولا ريب أنك ستمحض هذه العبادة بالإخلاص والتجرد الكامل لله سبحانه وتعالى، تؤديها في نشاط كامل، ويقظة تامة.

وإن لم تستشعر هذا الأمر وتستحضره، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى مطلع عليك (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) خشعت في عبادتك أو سهوت فيها، أحضرت قلبك أم اشغلته بأمور الدنيا، أو شغله الشيطان

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠) في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي ﷺ والإحسان، ومسلم برقم (١٠٦) كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بالوساوس والهواجس، ففي جميع الأحوال والظروف، قرب الأرباب مطلع عليك، ومحص لحظاتك وخواطرك وأقوالك وأعمالك: ﴿يَوْمَذِ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [١٨] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أيها المسلمون! ومن وجوه الإحسان: الإحسان إلى الخلق من الناس والبهائم إحساناً مادياً ومعنوياً، إحساناً يتمثل فيه المحسن سلامة القصد، ونقاء الضمير، ونظافة القلب، وستر العطية، من غير من ولا أذى، بألفاظ طيبة، وعبارات حسنة، وكلمات مهذبة، فيؤدي هذا الإحسان نتيجته ويثمر ثماره الياقة.

على رأس هؤلاء الذين يحسن إليهم: الوالدان والزوجة والأولاد والأقربون والمحتاجون بأصنافهم وأنماطهم، اسمعوا قول الله عز وجل مصوراً هذا الإحسان العظيم: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فالإحسان إلى هؤلاء جميعاً بعبادته والأمر بها، فطاعة الوالدين وصلة القريب، وحسن الجوار للجار القريب والبعيد، ورعاية اليتيم

والقيام بحاجة الضعفاء والمساكين، ومواساة الحزين والمهموم، وسد حاجة المحتاج، ومساعدة المسافر المنقطع، ودفع المال لمن يستحقه قريباً أو بعيداً، ونحو هذه الأحوال كلها من ضروب الإحسان التي أمر بها الخالق جل وعلا، وندب إليها.

فقلب طرفك- أيها المسلم- وانظر في حالك مع هؤلاء الأصناف كلهم، فهل قمت في هذه الحقوق وأديتها على وجهها الشرعي، وكنت محسناً؟
أيها المسلمون!

إن الأمة المسلمة اليوم بتباعد ديارها، واختلاف أشكالها وأنماطها بحاجة إلى الإحسان الذي ندبنا الله إليه، وحثنا عليه، وأمرنا به، فأينما وجهت وجهتك إلا وجدت أقلية مسلمة، أو جماعة من المسلمين مضطهدة في دينها، أو ممزقة الكلمة مشتتة الوجهة، فضلاً عن قتل الرجال وتيتيم الأطفال، وترميل النساء، وهتك الأعراض، إن صرخات الثكالي، وأنين الجرحى، وصيحات الأطفال الرضع، وبكاء الشيوخ الركع في مشارق الأرض ومغاربها، وأمة الكفر من يهود ونصارى ووثنيين وبوذيين كلمتهم واحدة، وسيوفهم مجتمعة على أولئك العزل، ما ذنبهم وما جريمتهم؟ وما الكبيرة التي ارتكبوها؟ إنهم مسلمون مؤمنون بالله، يدينون دين الحق، حالهم يندى لها الجبين، ويشيب لها رأس الوليد، وتبكي لها البهائم والحيوانات، وتعكس

صرخاتهم الجدران الصماء، فكم قتل من قتيلاً؟ وكم جريح يئن من جراحه ليل نهار، ومريض يتلوى لا يجد ما يسكن ألمه، وضعيف لا يرى من يرأف بحاله، وطفل يصرخ فاقداً أمه وأباه، تتشله الأيدي الكافرة لتربيته تحت أنظارها ووفق مبادئها ليعود سيفاً مصلاً على الإسلام وأهله؟

أيها المسلمون! إن الأمة المسلمة في كل مكان تنتظر إحسانكم المادي والمعنوي، تنتظر دعواتكم الحارة الموصولة من القلب بخالق الكون ورب السماوات والأرض، تنتظر إحسانكم المادي، ولو كان قليلاً ليستشعروا صلتكم بها وإحساسكم بقضاياهم، تنتظر صدقاتكم وتبرعاتكم، قوموا بذلك كله لتقطفوا ثمار إحسانكم، وتكونوا من أحباب الله، وخاصة الذين لا تفارقهم رحمته طرفة عين (إن رحمة الله قريب من المحسنين) [الأعراف: ٥٦] .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده، ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.
أما بعد:

أيها المسلمون! ومن ضروب الإحسان: إتقان العمل، وأداؤه على أحسن وجه وأتمه، والقيام به على وجهه الشرعي، ولو كان في نظر الإنسان أمراً تافهاً، أو شيئاً حقيراً، وسواء كان للخلق من الناس، أو للحيوانات والبهائم، فالإحسان يشمل ذلك كله، روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته" ^(١). فحتى البهائم حال ذبحها لا يعذبها، فيحد الشفرة، وليجهز عليها بسرعة، فيريحها، ويخفف آلامها.

وقد أخبر النبي ﷺ أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ^(٢)، فإذا كان

(١) أخرجه مسلم رقم (٥١٦٧) في كتاب الصيد والذبائح، عن شداد بن أوس رضي الله عنه. ومسلم برقم (٢١٣٨) البر والصلة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم (٢٣٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الإحسان إلى البهائم سبباً لدخول الجنة، فما بالكم أيها المسلمون بالإحسان إلى الناس فضلاً عن الإحسان إلى المسلمين؟

ومن ضروب الإحسان: الإحسان إلى الذرية بتربيتها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقيام بحقوقهم، ورعايتهم، وكذا الإحسان إلى كل من ولاك الله شأنهم من موظفين وعمال وخدم وغيرهم، فتقوم بحقوقهم ولا تبخس شيئاً، تحسن إليهم بما أوجبه الله عليك تجاههم.

أيها المسلمون! وكما يكون الإحسان بالفعل والعمل، يكون بالقول والمخاطبة بالحسنى، والكلام اللين، وبانتقاء العبارات المهيبة، والألفاظ الحسنة، فتقوم علاقة الناس على المودة والمحبة، والأخوة والألفة، وتبعد نزغات الشياطين، فتصفو القلوب، وترتاح الضمائر، وتقوى العلاقات والصلات بين المسلمين بعضهم ببعض، يقول جل وعلا: ﴿وَقُلْ لِمَ بَادَى يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

أيها المسلمون! الإحسان بهذا المعنى، وبهذا التطبيق تغفر به الذنوب، وتكفر السيئات، وتمحى الخطايا والزلات، يقول جل وعلا:

﴿إِنْ تَقْرَءُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضَعْفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]

و الإحسان وسيلة عظيمة لرفعة الدرجات، ومضاعفة الحسنات، والقرب من رب البريات: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [النحل: ٣٠]، ويقول سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] وقد فسر كثير من أهل العلم أن الزيادة هي النظر إلى الخالق جل وعلا، رزقني الله وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم، وصلوا وسلموا على سيد المرسلين، كما أمركم الله في كتابه الكريم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

التقوى

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، أمر بتقواه، ووعد المتقين خيراً كثيراً،
أحمده سبحانه ولي المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له، ولا نعبد إلا إياه، أعد للمتقين أجراً كبيراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا
محمدًا عبده ورسوله، أتقى الناس لله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى
آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، والتابعين،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله! كلمة صغيرة يرددها كل خطيب وواعظ، يوصي بها كل
مقيم ومسافر، كلمة قليلة الحروف، عظيمة المعنى، حري بقائلها
والموصي بها وسامعها، بل حري بكل مسلم ومسلمة أن يقف عندها،
يتأمل معناها ويطبقها، كيف؟! وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين،
ووصية سيد المرسلين، من عمل بها نجا، ومن تركها واستخف بها
هلك، ثمارها عظيمة في الدنيا عظيمة في الآخرة، يسعد صاحبها،
ويشقى ناسيها ومتناسيها، وتاركها والغافل عنها، اعتنى بها السلف
الصالح، وعظموها في نفوسهم، وأوصوا بها من بعدهم، وبخاصة عند
موتهم ومفارقتهم للدنيا، فهي أعظم نصيحة في بيوتهم وطرفاتهم، في

سلمهم وحربهم، وصحتهم ومرضهم، وحال قوتهم وضعفهم،
ورخائهم وشدتهم.
أيها المسلمون!

تلكم الكلمة العظيمة هي التقوى، التي طالما سمعناها ليلاً ونهاراً.
التقوى : أن تجعل بينك وبين ما يضرك وقاية تحول بينك وبينه،
وتقوى الله تعالى : أن تفعل ما يأمرك به، وتجتنب ما ينهاك عنه، فلا
يجدك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، شعارك أمره ونهيه، حول
هذا المعنى ترددت عبارات السلف في تصويرها وبيانها، قال ابن عباس
رضي الله عنهما: المتقون: الذين يحذرون من الله وعقوبته. وقال ابن
مسعود رضي الله عنه: أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر
فلا يكفر^(١) . وقال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على
نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف
عقاب الله^(٢) .

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٣/١٨٨ عند تفسير آية (اتقوا الله حق تقاته). معزواً إلى
عبدالله بن مسعود، وقال ابن أبي حاتم: وهذا إسناد صحيح موقوف، وقد تابعه عليه
الحاكم في مستدركه برقم (٢٢٩٤) من حديث مسعر عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود
مرفوعاً فذكره، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) ذكره ابن كثير عند تفسير آخر سورة السجدة ، والله الحمد والمنة ، ٤٦٦/٣ وذكره ابن
تيمية ضمن فتاواه ١٣٢/٢٠ وكذا ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/١٥٩ عند =

وسئل أبو هريرة رضي الله عنه عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك هكذا التقوى. وأخذ هذا المعنى الشاعر ابن المعتمر فقال:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذِرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنْ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

أيها المسلمون!

هذه التقوى، هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين من عباده : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وقد أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم بصيغ متعددة، ورتب على حصولها الآثار العظيمة، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]. ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْظُرْ نَفْسًا مِمَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

= شرحه لحديث معاذ بن جبل "اتق الله حيثما كنت.. الحديث، والأقوال كلها عنده مع الشعر المنسوب لابن المعتمر.

مَأْمُونًا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ويقول
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ
كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَنْ مَآزِضِهَا وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا
هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢] ويقول جل شأنه:
﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦].

وهي وصية الرسول ﷺ لأصحابه وأمته، روى الترمذي وغيره
عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ
يخطب في حجة الوداع فقال: (اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم،
وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة
ربكم)^(١).

وروى الترمذي بسند حسن، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
قال: قال رسول الله ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة
تمحها، وخالف الناس بخلق حسن".^(٢)

(١) أخرجه الترمذي برقم (٥٥٩) في كتاب الجمعة عن رسول الله ﷺ، باب منه، وأحمد
رقم (٢٢٢١٥) عن أبي أمامة. وهو حديث صحيح.

وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٢١٢٢٨) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (١٩١٠) في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره
الناس، عن أبي ذر رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن وأخرجه أحمد في =

وروى الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: "أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام" ^(١). وخرجه غيره بلفظ: "عليك بتقوى الله، فإنه جماع كل خير" ^(٢) وروى الترمذي، عن يزيد بن سلمة أنه سأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً أخاف أن ينسي أوله آخره، فحدثني بكلمة تكون جماعاً، قال: "اتق الله فيما تعلم" ^(٣) وكان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً.

أيها المسلمون!

وعلى هذه الوصية العظيمة درج سلف الأمة بوصيتها لمن بعدهم تعظيماً لشأنها، وعلواً لمكانتها، وبياناً لأهميتها، فهذا أبو بكر

=مسنده برقم (٢٠٣٩٢) من حديث أبي ذر بنفس الرواية، ثم قال: قال وكيع، وقال سفيان

مرة، عن معاذ، فوجدت في كتابي، عن أبي ذر، وهو السماع الأول.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١١٧٩١) من مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) وأخرج الرواية الأخرى الطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) ١٥٦/٢، برقم

(٩٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم

(٢٦٨٣) عن يزيد بن سلمة، قال أبو عيسى: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، وهو عندي

مرسل، ولم يدرك ابن أشوع يزيد بن سلمة.

رضي الله عنه يقول في خطبته: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن
تثبوا عليه بما هو أهله، ولما حضرته الوفاة، وعهد إلى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه دعاه، فوصاه بوصيته، وأول ما قال له: اتق الله يا عمر،
وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى ابنه عبدالله، فقال: أما
بعد، فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه
جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك، وجلاء قلبك.
واستعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً على سرية فقال
له: أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا بد لك من لقاءه، ولا منتهى لك
دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة. وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله
إلى رجل فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا
يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين
بها قليل، جعلنا الله وإياكم من المتقين، وكتب رجل من السلف إلى أخ
له: أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت،
وأفضل ما ادخرت. وكتب رجل لآخر، فقال: أما بعد، أوصيك بتقوى
الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من
بالك على كل حال، في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربك منه
وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره،
ولا من ملكه إلى ملك غيره.

فاتقوا الله ، أيها المسلمون! وراقبوه في أقوالكم وأعمالكم ،
وفي جميع تصرفاتكم وسلوككم، وتواصوا بها في عموم أحوالكم،
نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله
لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي وعد بالخير والفضل من اتقاه، وتفضل بقبول من دعاه، أحمده سبحانه على فضله، وأشكره على نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير الناس خشى الله واتقاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وعلى منهاجهم اقتفى وسار.

أما بعد: التقوى بالمعنى الذي سمعناه تضي على صاحبها آثاراً عظيمة في الدنيا والآخرة، بل تضي على المجتمع بكامله آثاراً لو تدبرها الناس لتسابقوا إلى فهمها وتطبيقها.

التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ ٦ ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ [الليل: ٥-٧].

التقوى سبب لفتح البركات من السماء والأرض، وحصول الأرزاق على الفرد المتقي، والمجتمع المتقي، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٢ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

والتقوى سبب للتوفيق في الحياة، يقول سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]. ويقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨].

والتقوى سبب لنيل ولاية الله، فأولياء الله هم المتقون، (إن أولياؤه إلا المتقون) ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُنْقَوُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

والتقوى عامل قوي لعدم الخوف من كيد الكائدين، وضرر الكافرين، يقول تعالى: ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢-٦٣].

والتقوى سبب لنيل العلم وتحصيله وحصول بركته، يقول سبحانه: (واتقوا الله ويعلمكم الله) [البقرة: ٢٨٢].

والتقوى موصلة إلى رحمة الله في الدنيا قبل الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وأهل التقوى تحصل لهم البشرى والاطمئنان في الحياة الدنيا سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس لهم، والثناء عليهم، يقول تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

أيها المسلمون!

ومن ثمار التقوى في الآخرة، وما أكثرها! أنها سبب للفوز والفلاح، والنجاة يوم القيامة من عذاب الله تعالى: يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ويقول: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] ، ويقول جل شأنه: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٧١] ثُمَّ نَجِّى الَّذِينَ أَنْفَقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا﴾ [مريم: ٧٢-٧٣].

والمتقون هم الذين تقبل أعمالهم، ويرثون الجنة التي أعدت لهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ، ويقول: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣] ، ويقول ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا بِفَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠] ويقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وبالتقوى - عباد الله - تكفر السيئات وتمحى الذنوب، وتغفر الزلات، وترفع الدرجات، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] ، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥].

أيها المسلمون!

هذا شيء من ثمرات التقوى وآثارها في الدنيا والآخرة، فحري بنا أن نسارع لنكون من المتقين، أن نتقي الله تعالى في كل شأن من شؤون حياتنا في بيوتنا وطرفاتنا، في وظائفنا، وأثناء أداء أعمالنا، في أخلاقنا وبيعنا وشرائنا، في جوارحنا وقوانا.

فالمسؤول أياً كانت مسؤوليته عليه أن يتقي الله تعالى في مسؤوليته وما أسند إليه من تكاليف، يراعي العدل، ويخشى الله، والموظف والعامل عليه بتقوى الله في أداء وظيفته وعمله، يراعي ما كلف به، وما أوثمن عليه، والوالد والأم في تربيتهما لأولادهما ورعاية مسؤوليتهما، والمعلم والمربي أن يتقي الله تعالى في أسلوب تعليمه ومادته العلمية وتربيته لطلابه، وكل فرد عليه أن يتقي الله فيما أنعم عليه من الجوارح، فلا يوردها من حرام، ولا يصرفها في حرام.

اتقوا الله - عباد الله - واقتدوا بنبيكم وإمامكم وقدوتكم، وصلوا عليه وسلموا كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

صفات المتقين

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، أمرنا بتقواه وأعد للمتقين الأجر العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، من خلقه، قائد الغر المحجلين، وأتقى المتقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: أيها المسلمون!

في خطبة سابقة تحدثنا بصورة موجزة عن كلمة عظيمة، لها شأنها ومكانتها، تلكم هي تقوى الله عز وجل، عرفنا معناها ومكانتها، واهتمام السلف الصالح بها، وعرفنا آثارها في الدنيا والآخرة. عباد الله! تقوى الله سبحانه: أن تفعل ما يأمرك الله تعالى به، وتجتنب ما ينهاك عنه، فلا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، تتقي عذابه وعقوبته، فأما الطاعات فتعمل بها، والمعاصي تجتنبها.

التقوى: - عباد الله - أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

التقوى: ترفع درجات صاحبها وتعلي شأنه، وتدخله الجنة، وتكفر سيئاته، وتحط ذنوبه، وتقيه من عذاب النار، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

ويقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ويقول تعالى: ﴿وَنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١﴾ [المائدة: ٦٥]. ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣١﴾ [الزمر: ٦١] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١﴾ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهِيَ ءَامِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ [الدخان: ٥١-٥٦] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَقَوَائِمٍ مَّا يَشْتَبُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٩].

هذا شأن التقوى، فأين العاملون لها، وأين المتنافسون فيها؟ وأين الراجون لعواقبها؟ هؤلاء هم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه بأوصاف متعددة يتحلون بها، ويمارسونها، ويتنافسون فيها.. فمن أراد أن ينضم إلى سلك المتقين، ومن أراد أن يكون عنصراً قوياً عاملاً في مجتمع المتقين فليستمع إلى تلك الأوصاف، وليمعن النظر فيها، ويتأملها، ويسارع في تطبيقها، ويقوم بناء عليها.

فَمِنَ الْأَوْصَافِ لِلْمُتَّقِينَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ١ 〉 ذَٰلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ ٢ 〉 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ ٣ 〉 وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْآخِرَةُ هُمْ يوقُونَ ﴿ ٤ 〉 أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿ ٥ 〉 ﴾ [البقرة: ١-٥]. ويقول سبحانه : ﴿ ٦ 〉 لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
فَقِلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَاتِهِكَ وَآلَتِنِ
وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِفِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ ١٧٧ 〉 ﴾ [البقرة: ١٧٧]
ويقول سبحانه : ﴿ ١٧٨ 〉 وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ ١٧٩ 〉 الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٨٠ 〉 وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].
أيها المسلمون!

هذه مواصفات المتقين، وهذه سمات أهل التقوى، الأولى: الإيمان بالغيب، ويشمل الإيمان بالله تعالى والملائكة والكتاب والنبين، فيؤمن العبد إيماناً بما جاء به محمد ﷺ عن ربه من الغيوب التي لا تدركها الحواس، فيعتقد أن الله تعالى هو المعبود بحق، ولا معبود بحق سواه، ويستشعر هذه العبودية في كل مجالاتها الغيبية، والحسية.

والسمة الثانية: إقامة الشعائر التعبدية، كالصلاة والصيام، إقامة ظاهرة بإتمام أركانها وشروطها وواجباتها، وإقامتها باطناً بإقامة روحها وهو حضور القلب حال أدائها، وتدبر ما يقوله ويفعله.

والسمة الثالثة: الإنفاق في سبيل الله من الرزق، وإيتاء المال على حبه، والإنفاق في السراء والضراء، أساليب مختلفة للتعبير عن هذه المهمة، وهذه التعابير تشمل الزكاة المفروضة والصدقة المستحبة، فالمتقي هو الذي يبادر ويخرج مما رزقه الله تعالى، ويصرف أمواله في وجوه البر الخيرية على ذوي القربى، والأيتام الذين مات عائلهم، والمساكين الذي لا يجدون ما يكفيهم، والمنقطععين عن أهلهم وأموالهم، ومن يسأل لحاجة، وكل ما هو في سبيل الله، وكل هذا الإنفاق يجب أن يكون في مرضاة الله تعالى، وفي نفس مطمئنة طيبة،

ولذا قال سبحانه : (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) [البقرة: ١٧٧] وفي الآية الأخرى : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) [آل عمران: ٩٢].

ورابع سمات المتقين: الصبر والمصابرة، وقد ذكر الله مواضع مهمة يتحلى بها المتقون، ويظهر صبرهم (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) [البقرة: ١٧٧] صبر على حالة الجوع والعطش، وصبر عند المرض والضعف والضر، وصبر عند مس القرع في المعارك، وهذه المواطن كلها تربي في النفس الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والثقة فيه ليرتفع بها الإنسان إلى درجات المتقين.

فاتقوا الله عباد الله، وتحلوا بصفات المتقين الأبرار، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه،
ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله
الأولين والآخرين، أمرنا بتقواه وأعد للمتقين الأجر العظيم، وأشهد أن
نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، من خلقه، قائد الغر
المحجلين، وأتقى المتقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه
الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:
أيها المسلمون! ومن سمات المتقين: الخلق الحسن الذي يصل
إلى درجة ضبط عواطف الإنسان وكبح نزواته، وتحمل سيئات الآخرين
عليه، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
[الأعران: ١٣٤] درجة عليا في السمو الأخلاقي، يكظم الغيظ، والغيظ:
الغضب الثائر في النفس، وكظمه: عدم إظهاره، فالمتقي هو الذي يضبط
عواطفه حال معاملته مع الآخرين، ويمتنع عن الإساءة إليهم، ثم يرتفع
درجة أخرى إلى (العافين عن الناس) فيستولي على شهوة النفس الأمارة
بالسوء، والراغبة في الانتقام إثارة لما عند الله سبحانه وتعالى، وما أعده
للمتقين، ثم يرتفع درجة أخرى فوق هذا الكظم والعفو إلى أن يكون
محسناً في تعامله وماله وعبادته لربه، مع الله سبحانه ومع خلقه ومع
البهائم، هذا خلق المتقين، والذين قدوتهم محمد ﷺ الذي قال الله عنه:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ، وقال ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿ [آل عمران: ١٥٩] ، وقد جاء عنه ﷺ في الحديث الصحيح: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ^(١) وقال ﷺ: "إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً". ^(٢)

وسادس سمات المتقين: أنهم رجاعون توابون لما بدر منهم من أخطاء، سرعان ما يستغفرون، وينيبون إلى ربهم، ويندمون على ما بدر منهم، وما تجاوزوه من أخطاء مبتعدين عن الكبر والغرور، أو التهاون في صغائر الذنوب، أو الإصرار عليها: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وهذه سمة من سمات المصطفى ﷺ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة. ^(٣)

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٨٩٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم (٢١٣٠١) باب بيان مكارم الأخلاق باللفظ المذكور في الخطبة وقال في آخره. كذا روي عن الدراوردي، وكذا الشهاب في مسنده ١٩٢/٢ من طريق الدراوردي كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) ٨٩/٢، برقم (٨٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. والحديث في البخاري ومسلم بلفظ: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٥٥٩) ومسلم (رقم ٦١٧٧) باب استجاب الاستغفار والاستكثار منه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن سمات المتقين: الصدق في القول والعمل والسلوك
والمعاملة، صادقاً حال كلامه ومخاطبته، صادقاً في أدائه لعلمه، صادقاً
في معاملته لربه سبحانه، وللناس، صادقاً مع نفسه في خلوته، يقول
الشاعر:

وإذا بحثت عن التقى وجدته رجلاً يصدق قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فيداه بين مكارم ومعالي
ومن سمات المتقين: الاستجابة الكاملة لأمر الله تعالى، والسرعة
في ذلك، وقوة الدافع التنفيذي لمراد الله جل وعلا، ودوام الخشية له
سبحانه، والحذر من الذنوب، والخوف من تسرب الأمراض القلبية
حال الطاعات، يقول سبحانه: ﴿لَئِنْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:
٥٧-٦١].

أيها المسلمون! نظرة سريعة فاحصة يلقيها كل واحد منا على
نفسه، يتأمل فيها وضعه وسلوكه، أيأ كان موقعه، وأيأ كانت وظيفته، هل
تنطبق عليه هذه المواصفات؟ وهل يتمتع بهذه السمات، وهل يحاول
ليقارب صفات المتقين، ويلبي نداء الله سبحانه وتعالى بأمره بالتقوى؟..
فالذي يضعف إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وتخف خشيته وخوفه له،
ويقل أدائه للشعائر التعبدية، ويبخل بماله، أو يصرفه في أمور تافهة، أو

كماليات زائدة أو وجوه محرمة، والذي لا يؤدي أعماله الموكلة إليه على الوجه المطلوب، أو يعامل الآخرين معاملة سيئة فيها غش وخداع وكذب وزور، أو يتعامل في مال الله الذي أعطاه بوجوه غير مشروعة كالربا والتحايل وأكل أموال الناس بالباطل.

والذي يهمل نفسه وأهله وأسرته، فلا يبالي بما يقوم دينهم وما يضعفهم، لا يهتم بما عملوا، ولا أين ذهبوا، ولا ما ارتكبوا، فكل هؤلاء على خطر في دينهم، وأين هم من صفات المتقين؟ فاتقوا الله عباد الله، واستجيئوا لنداء الله، واندموا على ما فعلتم من التقصير والأخطاء ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]. اتصفوا بالتقوى والبسوا لباسها: ﴿وَلْيَأْسُ الْتَقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وصلوا وسلموا على خير المتقين وقائد الغر المحجلين، كما أمر الله في كتابه الكريم حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). والحمد لله رب العالمين.

التبرج والسفور

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي بيّن لنا طريق الخير والرشاد، وحرم وسائل الشر الفساد، وقمع أهل الزيغ والعناد، أحمده سبحانه وأشكره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى وسلم وبارك الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم التناد. أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى حق التقوى، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها المسلمون!

إن الله تعالى قد هدانا لهذا الدين الحق، وجعله منهاجاً لحياتنا، من استمسك به أفلح ونجا ومن تخلى عنه خاب وهلك، وإن من أعظم ما يهدف له الدين حماية الأعراض وسد كل سبيل لانتهاكها، ووضع العقوبات لمن تعرض لها. ومن ذلك أنه منع التبرج والسفور، وخلو المرأة بالرجل الأجنبي، سداً لباب الفساد، ومنعاً لحدوث ما لا تحمد عقباه.

لهذا فقد أمر الله تعالى نساء النبي ﷺ، والأمر عام لهن ولغيرهن من نساء المؤمنين، بالقرار في البيت، وعدم التبرج، يقول الله تعالى:

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فالله تعالى ينهى نساء النبي عليه الصلاة والسلام عن الخضوع وتليين الكلام، ويأمرهن بالاستقرار في بيوتهن؛ لكيلا يطمع من في قلبه مرض في شهوة الزنا، فيميل إليهن. والعياذ بالله، فإذا كان هذا النهي لنساء النبي الطاهرات العفيفات، فكيف بغيرهن من النساء؟ فغيرهن أولى بالبعد عن القول الفاحش، أو تليين الكلام، ولذلك أمر الله تعالى النساء بالحجاب عند الرجال الأجانب، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ ادْفَعْ أَن يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وكما أمر الله النساء بتغطية محاسنهن من الوجه والشعر وغيرهما، فقد أمر الرجال والنساء بغض الأبصار، وحفظ الفروج، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١-٣٠].

قال ابن مسعود: أي ما ظهر من اللباس، فأمر الله بغض البصر وحفظ الفرج، وما ذلك إلا لعظم فاحشة الزنا، ولأن إطلاق البصر في النظر للمحرمات من وسائل مرض القلب ووقوع الفاحشة.

أيها المسلمون! وإن من أعظم أسباب الفساد التي حرمها الإسلام خلو الرجل بالمرأة، وسفرها بدون محرم سواء كان بالطائرة أو السيارة أو أي وسيلة أخرى ، ففي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أرايت الحمى؟ قال: الحمى (الموت)^(١)، والحمى قريب الزوج.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم) متفق عليه^(٢). وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما).^(٣)

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٣٢) في النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم برقم (٥٨٠٣) في كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية عن عقبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٨٦٢) كتاب الحج، ومسلم برقم (٣٣٢٧) كتاب الحج

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١١٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٤٨٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في باب طاعة الأئمة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم ما عليه جماعة المسلمين.

أيها المسلمون!

هكذا يريد الإسلام من المرأة أن تبقى عفيفة طاهرة، جوهرة مصونة، ذات دين وخلق، وينبوعاً فياضاً في تربية أبنائها تربية إسلامية تنفعهم في دنياهم وآخرهم مجاهدين في سبيل الله، صالحين ينفعون أنفسهم ووالديهم ومجتمعهم.

ولقد فهم النساء الأوائل هذا المعنى، فضربن أروع المواقف في التمسك بالدين والتضحية من أجله، ولنسمع موقفاً من تلك المواقف.

فهذه الخنساء رضي الله عنها، هذه المرأة الشاعرة، والتي حين توفي أخوها صخر في الجاهلية بكت عليه بكاءً مرّاً، وقالت فيه ما قالت من الشعر ترثيه فيه، فلم يجف لها دمع ، ولم يغمض لها جفن، ولم تزل كذلك حتى تغير حالها وأوشكت على الهلاك، ومما قالت في رثائه:

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره بكل غروب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ومما قالت أيضاً :

أَعَيْنِي جُوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجواد ألا تبكيان الفتى السيدا

إلى غير ذلك من الأشعار الكثيرة، لكنها حينما أسلمت، وحسن إسلامها تغير وضعها، واختلف منهجها، وتغلغلت عقيدة الإيمان في سويداء قلبها، وارتبط قلبها بالله تعالى، فربّت أولادها على الإيمان بالله

والجهاد في سبيل الله تعالى، فأصابها المصائب، ونزلت بها المحن، وظلت صابرة محتسبة؛ فتذكر لنا كتب التاريخ والسير أنه كان لها أربعة أولاد في مقتبل أعمارهم، وزهرة شبابهم، يفيضون حيوية ونشاطاً، يملؤون حياتها بهجة وأنساً، وكانت جالسة معهم في يوم من الأيام، وهم يأكلون الطعام، وينادي المنادي، الصلاة جامعة! أمير المؤمنين يدعوكم للاجتماع، فتهب الأم قائلة لأولادها : أسرعوا يا أولادي، فعمر أحق أن يؤتى. ويخرج هؤلاء الأبطال، ثم يعودون بعد وقت قصير، والأم في انتظارهم تسألهم الخبر، فقالوا: إن أمير المؤمنين طلب منا السرعة للخروج لمساعدة جيش المسلمين في القادسية، فما رأيك يا أماه؟ وترد قائلة لهم: وهل هذا يحتاج لمشورة يا أولادي؟ ثم يقولون لها بلسان الرحمة والشفقة: ما أردنا هذا يا أماه! إنما أردنا أن يبقى أخونا الصغير عندك يركك، وليقوم بحاجتك. فقالت لهم: وهل يرضى أخوكم أن تسبقوه إلى المغفرة والجنة؟ اذهب معهم يا بني. ثم يحين موعد الرحيل، فتقبل الأم أبناءها الأربعة، وقلادات كبدها، وتضمهم إليها، فلعلها لا تلقاهم بعد ذلك، وتقوم معركة القادسية، ويتنصر المسلمون، ويستشهد أبنائها الأربعة، ثم يعود جيش المسلمين بالظفر والنصر.

فتخرج الأمهات لاستقبال أولادهن وأزواجهن وإخوانهن، والكل فرح مستبشر. وتنتظر الخنساء الخبر، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين يطرق الباب عليها، فتأذن له بالدخول،

فيسلم عليها، وترد عليه وتقول: خيراً إن شاء الله! فيقول لها: جئت أحمل إليك البشرى. فتقول له: وما هي؟ فيقول الخليفة عمر: لقد اختار الله أولادك الأربعة شهداء في سبيله، فتطرق الخنساء رأسها، ثم ترفعه وتقول: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

هكذا كان نساء الصحابة في تربية أبنائهن وحرصهن على تطبيق أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. نفعني الله وإياكم. وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي توعد المجاهرين بالمعاصي على لسان رسوله بشديد العقاب. أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

أيها المسلمون!

إن مما يحرص عليه أعداء الإسلام حرصاً شديداً أن يخرجوا المرأة إلى الشارع والسوق وأماكن اللهو وغير ذلك تاركة حجابها، ومهملة أمر وليها، تروح وتغدو، ولا هم لها إلا اللهو والعبث، ولم تنحط أخلاق كثير من المجتمعات إلا لما خرجت المرأة من بيتها، وخالفت أمر ربها. وهذا الأمر يعلمه كثير من المسلمين اليوم من ذلك التساهل في أمور بناتهم ونسائهم، ويحققون لهؤلاء الأعداء مقاصدهم وأغراضهم.

اتقوا الله - عباد الله! - فإن الأمر خطير، فاحموا أنفسكم وأولادكم وأهلكم من النار، انتبهوا لأنفسكم قبل أن تندموا، ولات ساعة مندم، فكم سمعنا من الحوادث المفزعة والقصص المدمية،

والوقائع المبكية، كل ذلك بسبب التساهل وعدم الانتباه، والتنازل عن القوامه التي منحها الله تعالى للرجل.

إن من يتساهل بالأمر الصغير يقع في الأمر الكبير، فكما قيل: الغناء رقية الزنا. فمن يتساهل بالغناء وسماعه وجلبه على بيته، وعدم إنكاره، فإن هذه وسيلة إلى ما هو أكبر منه، والعياذ بالله.

إن كل أمر جاد يحتاج إلى جد في بدايته، ولكنه يسهل بتوفيق الله تعالى، فجدوا في تغيير أحوالكم إلى ما يريده ربكم، ولا تتساهلوا في أوامره ونواهيه صغيرها وكبيرها، وجدوا في الحرص على تربية أبنائكم وبناتكم تجدوهم ذخراً لكم في الدنيا والآخرة.

ثم صلوا وسلموا على البشير النذير، والسراج المنير كما أمركم الله جل وعلا في محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقفات مع الإجازة الصيفية

الخطبة الأولى

الحمد لله المنعم الوهاب، خلق البشر من تراب، وسخر الشمس والقمر ليعلموا عدد السنين والحساب، وكل شيء فضّله، فهو عنده في كتاب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملك الملوك ورب الأرباب. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه الكتاب، وهزم به الأحزاب، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم إلى يوم المآب.

أما بعد: عباد الله! اتقوا الله تعالى حيثما كنتم؛ تفلحوا وتفوزوا في دنياكم وأخراكم.

أيها المسلمون! ها هي الأيام والليالي تدور، ما بين فصول وشهور، وأحوال وأمور، بينها تفاوت كبير. ما بين شتاء وصيف، ودراسة وإجازة، مواسم للجهد والاجتهاد، وأخرى للاستجمام والترويح. وكما أن بين هذه الأحوال العديدة تبايناً وتفاوتاً، فكذلك الحال بين الناس في التعامل مع هذه المواسم.

وقد بين لنا رسول الهدى ﷺ ميزاناً دقيقاً، في عبارة جامعة، يستطيع كل امرئ أن يزن به حاله، قبل أن يوزن عليه يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩].

وذلكم - عباد الله - فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ".^(١)

نعم عباد الله! إنه ميزان دقيق عجيب، ومن هنا علينا أن نراجع أعمالنا وأوقاتنا من منطلق الربح فيها أو الخسارة، وليس المعيار هنا مالياً أو مادياً، بل هو أن تكون هذه الأعمال والأوقات في الطاعات وعمل الصالحات، فيثقل بها ميزانك يوم تلقى رب البريات، فيسألك عن عمرك ومالك ووقتك.. فيم أنفقتهم؟! فإن الوقت في الحياة هو رأس المال والزاد للاستعداد ليوم المعاد:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
وخير من ذلك قول رسول الهدى ﷺ: "لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟" (رواه الترمذي، وحسنه، عن ابن مسعود رضي الله عنه).^(٢)

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٣٣) في الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، والترمذي برقم (٢٢٢٦) في الزهد، باب الصحة والفراغ، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٠) في سننه في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا =

أيها المؤمنون! وإن مناسبة هذا الحديث من الوضوح بمكان فهي هي الإجازة الصيفية على الأبواب، ويوشك موسم الاختبارات على الرحيل، بعد أيام من التوتر والشد العصبي، وليال من السهر والأرق، من أجل النجاح والتفوق، ورفعة الدرجات.

أيها المسلمون! وفي الإجازة الصيفية ميدان كبير لتصديق ذلك؛ باستثمارها في الخير، بحكمة وفطنة؛ لنجمع لأولادنا بين المتعة والفائدة، والترفيه والتربية، والتعليم وتنمية القدرات والمواهب، وقضاء الوقت فيما يفيد.

وإنه لأمر عظيم في عالم يموج اليوم بأمواج متلاطمة من وسائل الفساد والفتن، من فضائيات وإنترنت، وإعلام هابط، مع تعدد عناصر التأثير، وكثرة مصادر التربية.

لكنه يسير على من يسه الله له، ممن أخلص النية، وتوجه إلى ربه تعالى بسؤاله العون على الأمانة والمسؤولية.

=نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا من حديث الحسين ابن قيس وهو يضعف في الحديث من قبل حفظه.
وأخرجه من رواية أبي برزة الأسلمي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو برزة اسمه نضلة بن عبيد. وقال الألباني: صحيح.

قال الله جل وعلا: ﴿إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: ٧٠] ، وقال سبحانه: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

أيها الإخوة في الله! إن من أمانتنا في القيام بشؤون بيوتنا وأهلينا، أن نجتهد في تلبية متطلباتهم ، وشغل فراغهم، وتنويع الأنشطة لهم في الإجازة؛ حتى نحقق لهم الفائدة التربوية مع الترفيهية. فمن ذلك: إلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن المباركة، وتكثيف برامج الحفظ والمراجعة لكتاب الله، مع منحهم الحوافز والجوائز على ذلك.

ومن الوسائل أيضاً: الأندية الصيفية المنتشرة في جميع الأحياء في موسم الإجازة؛ لشغل أوقات الناشئة بكل نافع مفيد. ومنها أيضاً: إلحاقهم بالدورات العلمية ودروس المساجد. ومن الوسائل: وضع برامج مباركة لصلة الرحم وزيارة الأقارب، خصوصاً من يصعب صلتهم في موسم الدراسة. ومن أفضل الأعمال في الإجازة: زيارة الحرمين الشريفين وأداء العمرة. كل هذا مع برامج ترفيهية جميلة ومبتكرة، ونزهات ورحلات ترفيهية، يصحب فيها الوالدان أولادهم، بلا ولوج في منكرات، أو وقوع في محرمات، أو تضييع لفرائض.

وما أحسن أن يصاحب ذلك من التشجيع والحوافز والترفيه -
المباح ما يدخل السرور عليهم، ويزيدها تفاهاً حول والديهم.
ولله در آباء وأمّهات يتفننون فنوناً من ذلك لا تدع فرصة لتسرب
السأم والملل إلى قلوب أبنائهم وبناتهم، ولا ثغرة يلتجؤون منها إلى
منكر أو فساد. إنها الهمة العالية في التربية، والرغبة فيما عند الله تعالى،
تثمر التوفيق والسداد بإذن رب العباد.

أسأل الله أن يوفق المسلمين والمسلمات إلى ما فيه صلاحهم
وصلاح بيوتهم وأولادهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو
الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون! ومع الاجتهاد في شغل فراغ أبنائنا وبناتنا في الإجازة الصيفية، بإعداد البرامج المسلية، واختيار الوسائل الطبية النقية، يجب علينا الحذر كل الحذر من ترك الأولاد وشأنهم، أو تركهم لرفاق لا يعلمون عنهم شيئاً، فإن الفراغ ورفقة السوء مع غياب الرقيب يفتكان بالأخلاق، ويجران إلى الانحراف عن الصراط المستقيم.

كما أن تركهم منفردين كثيراً مع توافر وسائل الفساد حولهم، قد يجرحهم إلى المنكرات والمحرمات.

إن الفراغ والشباب والجدة مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

فلنحرص على ملء فراغهم بكل نافع مفيد، وليكن الوالدان على علم بحال وبيوت أصدقاء أولادهم، وصديقات بناتهم، من خلال متابعة دقيقة، وإرشادات حكيمة.

ولنلقن أولادنا حديث رسول الله ﷺ: "الرجل على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل" (رواه أبو داود، والترمذي، عن أبي هريرة

رضي الله عنه).^(١)

ولنعلم - أيها المسلمون - أن الثغرات التي ينفذ منها الشيطان إلى بيوتنا وأولادنا إنما هي من صنع أيدينا؛ بالغفلة وغياب الرقابة والمتابعة، والتساهل في كثير من الأمور التي تتدرج إلى الفساد خطوة خطوة، قال الله جل وعلا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) [التحریم: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته.. " الحديث (متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما).^(٢)

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٨٣٥) كتاب الأدب. والترمذي رقم (٢٣٧٨) كتاب الزهد وأحمد برقم (٨٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٨٩٣) في الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومسلم برقم (٣٤٠٨) في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

اللهم اجعلنا ممن يقوم على شرعك خير قيام، ويقوم على تدبير
شؤونه بجد والتزام، وصلوا وسلموا على رسول الله الأنام كما أمركم
المولى في كتابه الكريم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

التفريط في عمل اليوم والليلة

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله ! اتقوا الله حق التقوى تفلحوا في الآخرة والأولى.

أيها المسلمون! إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس في هذه الحياة الدنيا، وابتلاهم فيها، وكلفهم بتكاليف شريفة، وهذه التكاليف منها ما هي واجبات، ومنها ما هي مستحبات، ينبغي أن يقوم بها المسلم في يومه وليلته، أو في أسبوعه وشهره، أو في سنته وعمره، ومنها ما هي محاذير يجب أن يجتنبها ويتعد عنها، وإن من الواجبات والمستحبات ما هو في اليوم واليلة كالصلاة المكتوبة، والأوراد والأذكار، وقراءة كتاب الله تعالى، وصلاة النوافل الراتبة، والاستغفار، وحضور الصلاة جماعة في المسجد، وكذا ما كان واجبات اجتماعية، كبر الوالدين، وصلة الأرحام، وعيادة المرضى، وتشجيع الجنائز، ومعاملة الناس

المعاملة الحسنة، وغير ذلك مما يجب على العبد أن يقوم به، أو يستحب أن يبادر فيه تجاه خالقه.

أيها المسلمون! إن المسلم الحصيف العاقل الذي يحسب حساب مستقبله قبل حاله، ويعد لآخرته قبل دنياه، ويملاً صفحته بالأعمال الصالحة هو ذلك المسلم الذي يحافظ على هذه الواجبات اليومية والليلية والأسبوعية ولا يفرط فيها، فيقوم بها خير قيام، فتراه مسابقاً لصلاة الجماعة، قارئاً حزبه من القرآن والأوراد، تأمّ الصلاة بالله عز وجل، مؤدياً ما عليه من الحقوق الأسرية والاجتماعية، ماثلاً وقته بكل ما هو مفيد له ولمجتمعهم، محافظاً على هذا الوقت الثمين الذي هو أغلى ما يملك، لكن حال الكثير من الناس التفريط والتكاسل، بل الإهمال لهذه الأعمال اليومية والأسبوعية، تجده يتأخر عن الصلاة، ويقصر في باقي الواجبات، ويهمل كثيراً من العبادات، مكتفياً بالقليل منها، منشغلاً في دنياه عن آخرته، وفي حاله عن مستقبله، وفي نفع العاجل دون الآجل، وهذه حال مؤسفة تنبئ عن غفلة عظيمة، وتؤذن بإهمال شديد.

أيها المسلمون! إن لهذا التفريط في أعمال اليوم والليلة آثاراً وخيمة منها: الاضطراب والقلق النفسي وعدم الاستقرار والاطمئنان حتى في هذه الحياة؛ لأن من كانت هذه حالة قد قَطَعَ عن القلب غذاءه ودواءه، ومصدر سعادته وطمأنينته، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذَكَرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٦﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٧﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٨﴾ ﴿طه: ١٢٤ - ١٢٦﴾.

ومن الآثار السيئة لهذا التفريط الحرمان من العون، والتوفيق الإلهي؛ لأن عون الله تعالى لا يظفر به العبد إلا إذا كان على صلة وثيقة بربه عز وجل، وهذه الصلة تكون بالمواظبة على عمل اليوم والليلة، يقول الله سبحانه تعالى مبيناً عونه لعباده المواظبين على هذه الأعمال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨] ، ويقول سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] ومن كان الله معه كان حليفه التوفيق والعون والتسديد في أمور دينه ودنياه، ومن لم يكن الله معه حرم من ذلك أيما حرمان.

ومن الآثار السيئة للتفريط في عمل اليوم والليلة التساهل في فعل المعاصي، والجرأة على ارتكابها، والتهوين من شأنها ونتيجتها، فمن تساهل في عدم فعل الطاعة سهل عليه فعل المعصية، كما قال سبحانه في شأن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ولذلك من لم تنه صلواته عن المعاصي لم يستفد منها، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (من لم

تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً^(١).

ومن الآثار السيئة أيضاً لهذا التفريط عدم الثبات على الحق والانهيار أمام المغريات أو المصائب والشدائد، فالابتلاءات والمحن كثيرة ومعلومة، فمن حافظ على هذه الأعمال رزق الثبات والاستمرار على منهج الله وشرعه فاطمأن وارتاح، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

ويقول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك..)^(٢)، ومن الآثار أيضاً: فوات الأجر العظيم، وكسب الإثم الكبير، فالذي تفوته صلاة الجماعة مثلاً: يفوته خمس وعشرون درجة، أو سبع وعشرون درجة، كما يفوته خطواته إلى

(١) ذكره الطبري في تفسيره عند القول في تأويل قوله تعالى: (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) ١٥٥/٢٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر.. الحديث.. وأخرجه عن ابن مسعود رضي الله عنه بنفس اللفظ المذكور في الخطبة، وكلاهما موقوف، غير أنه أخرج رواية عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ "من صلى صلاة لم تنه عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً"، وأخرجه الشهاب في مسنده ٣٠٥/١ عن ابن عباس مرفوعاً برقم (٥٠٩) والله أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة. وأحمد رقم (٢٦٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح.

المسجد، فبكل خطوة يخطوها تكتب له حسنة، وتحط عنه خطيئة، كما لا يتحصل على استغفار الملائكة له، ثم إنه معرّض بصلاته وحده إلى نقر صلاته، وعدم أدائها على الوجه الشرعي من خشوع وخضوع وطمأنينة، ومثل هذا غالباً ما يهمل الأذكار التي بعد هذه الصلوات، والتي تعدل صدقات الأغنياء، ومقابلة الله تعالى بالأعمال الصالحة التي هي كالجبال.. هذا تفريط في عمل واحد من أعمال اليوم والليلة، فما بالكم بمن تساهل في كثير من هذه الأعمال في يومه وليلته؟!

فاتقوا الله، عباد الله، والزموا أعمالكم اليومية، وحاسبوا أنفسكم، ولا يأخذكم الليل والنهار، والساعة تلو الساعة، والأسبوع تلو الأسبوع، والشهر تلو الشهر، فاغتنموا شبابكم قبل هرمكم، وصحتكم قبل مرضكم، وغناكم قبل فقركم، وفراغكم قبل شغلكم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه ﷺ، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون! ما سمعنا من تفريط بعض الناس في عمل اليوم والليلة وآثار ذلك الخطيرة عليهم، فإن له أسباباً منها: عمل المعاصي باستمرار وبلا مبالاة أو تحرز، ولا سيما صفائر الذنوب التي هانت على كثير من الناس، فيعاقب الإنسان بتفريطه، ويسبب مقارفته لتلك المعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْنَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ تَدْرِكُونَ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

سأل رجل الحسن رحمه الله قائلاً: يا أبا سعيد! إني أبيتُ معافى، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك. ويقول ابن القيم في آثار المعاصي: (ومنها حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله، وتقطع طريق طاعة أخرى، فينقطع عليه بالذنوب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كالرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة، فمنعته من عدة أكالات أطيب منها).

ومن أسباب التفريط في عمل اليوم والليلة: عدم إدراك قيمة النعم وسبيل دوامها، فمن سبل دوامها شكرها، ومن شكرها المواظبة على عمل اليوم والليلة من العبادات والطاعات، قال تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن الأسباب أيضاً الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة، فإن من غفل عن الله وَكَلَهُ إلى حوله وقوته، ومن وَكَلَ إلى ذلك، فقد وَكَلَ إلى ضعف وخَوَرٍ، ومن عرف الحاجة إلى ذلك العمل، وعمل به كان معه، كما في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه..)^(١) الحديث.

ومن الأسباب أيضاً التوسع في المباحات من الطعام والشراب واللباس والمراكب، فإن العبد إذا أكل كثيراً شرب كثيراً، فنام كثيراً وفاته خير كثير، فيتحسر عند الموت، وعلى آخرته كثيراً، فضلاً عن الاشتغال بالملهيّات والسهر على ما لا فائدة فيه.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٧) في صحيحه في كتاب الرقاق، باب التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد انفرد به البخاري عن بقية أصحاب الكتب الستة، كما قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٣٥٨/١.

ومن أسباب ذلك نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد، فإن من لها في هذه الدنيا، ونسي الموت وسكرته، والقبر وضُمَّتته، والحشر ووحشته، والنشر والحساب، غفل عن أعمال يومه وليلته، ولذلك حث الرسول ﷺ على تذكر الموت، فقال: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات).^(١) ومن الأسباب الاكتفاء بالقليل من الأعمال، أو الإعجاب فيها، أو استكثارها، وهؤلاء غرتهم الحياة الدنيا، يقول الرسول ﷺ: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى)^(٢)، ومن أعظم الأسباب أيضاً التسويف بأن يؤجل عمل اليوم إلى الغد، حتى تتراكم عليه الأعمال، وتشغله، ويلهو عن الصالحات، يقول ﷺ: (بادرُوا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً،

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٧) في سننه في الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ذكر الموت، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، ولفظه عنده: "أكثرُوا ذكر هادم اللذات يعني الموت". وابن ماجه رقم (٤٢٨٥) كتاب الزهد

وأحمد في مسنده برقم (٧٩١٢) في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٦٥٠١) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٨٣) في سننه في صفة القيامة، باب منه، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد في المسنده رقم (١٦٥٠٠١).

أو موتاً مُجهزاً، أو الدجال، فشر غائب يُنتظر، أو الساعة؟ فالساعة أدهى وأمر).^(١)

فاتقوا الله، عباد الله، واجتنبوا هذه الأسباب؛ ليرضى عنكم رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وصلوا وسلموا على خيرته من خلقه، محمد صلى الله عليه وآله وسلم. كما أمركم الله جل وعلا بقوله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٢٢٨) في سننه في الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

أسباب الانحراف وعلاجها

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وصفوته من خلقه، قائد الغر المحجلين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : عباد الله: اتقوا الله، والزموا منهجه، واستقيموا على طاعته تفلحوا وتفوزوا برضاه

أيها المسلمون! إن لوجود الإنسان على هذه الأرض حكماً لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، ربما كان التصور البشري عاجزاً عن إدراك ذلك، أو ربما كان إخفاؤها خيراً لنا ولديننا، ومعاشنا وعاقبة أمرنا، ولكن الله تعالى يبين لنا شيئاً من تلك الحكم، وأن وجود الإنسان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعبوديته لله تعالى، وتقديم الطاعات والعبادات بين يديه، على أنه جل ثناؤه غني عن هذه العبادات والطاعات، ولكنه سبحانه وتعالى ذكر مهمة الإنسان في الحياة حتى لا يحيد إلى غيرها، ولا يخوض في أمر

الله، تعالى شأنه في خلقه، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) ﴿[الذاريات: ٥٦، ٥٧].

وكانت الخطوة التالية لخلق الإنسان هو إنزاله إلى الأرض، وجعله خليفة فيها، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) ﴿[البقرة: ٣٠].

والخلافة تعني تطبيق أوامر الله تعالى في أرضه، أمراً ونهياً، دون اعتبار لغايات أخرى، أو مصالح آنية ومآرب شخصية وذاتية، ومن حكمة الله تعالى أيضاً أن جعل مع خليفته في الأرض قوة أخرى تنازع قوة الخير، وتقف بالمرصاد دون تطبيق مفهوم الخلافة، ألا وهو الشيطان الذي عصى ربه، وتعهد بغواية الناس إلى يوم الدين، ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٢) ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٣٨) ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٤٠].

وهذا الانحراف الذي تدعو إليه الشياطين وأولياؤهم لا ينحصر في صورة محددة، ولكنه يتلوّن ويتعدد ويتكاثر حسب الزمان والمكان، وهو الخروج عن الطريق السوي القويم الذي أراده الله تعالى لعباده إلى غيره، والعدول عما جاء به هذا الدين من الأوامر والنواهي إلى ما جاء

به البشر من النظم والأفكار والقوانين غلواً وتقصيراً، إفراطاً وتفریطاً، ومحور هذا الانحراف هو الإنسان نفسه، ولكن هذا الوسواس الخناس الذي لا يهدأ، ولا يتعب في غواية الإنسان، يكرر عمله، ويجمع جهده لتدمير مصادر القوة الإيمانية وأركان الدعوة الربانية الكامنة في مرحلة الشباب، فيا أيها الشباب والفتيات! ها هي الميادين الساخنة التي يعمل فيها الشياطين وأولياؤهم، لأن في تدميرها تدميراً للأمة وتعطيماً لأحكام القرآن ومسيرة الدعوة، وإذا بحثنا عن أسباب هذا الانحراف والفساد لدى الشباب والبنات، وجدنا أنها كثيرة، وسنورد أهمها، ومن ذلكم:

الجهل:

جهل الإنسان بحقيقة وجوده في الحياة، والكون من حوله، وجهله بالغاية التي وُجد من أجلها، ويحيا ويموت في سبيلها، وجهله بالرسالة التي جعلها الله نبراساً له وضياء في ظلمات الجاهلية والضلال، وجهله بأسرار هذا الكون الذي ينطق كل كائن فيه بالحقيقة الكبرى، وهي وجود الخالق جل وعلا، وجهله بما يكيد الأعداء له ولأمته من مكائد، وما يفعله من قتل وغزو وتدمير، فالجهل أم المصائب، وسبب كبير من أسباب الانحراف لدى الشباب والبنات، لأن الجاهل يرى الظلمات نوراً، ويرى الباطل حقاً، ويرى الرذيلة فضيلة، وتقييم الأمور بهذا المنظار المنحرف يجلب الخراب والدمار على الأمة لا محالة، لذا

كانت منزلة العلم والعلماء في هذا الدين عالية ورفيعة، يقول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].
ويقول عليه الصلاة والسلام: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" رواه الترمذي ^(١).

ومن أهم أسباب الانحراف عن الجادة : ضياع الأوقات:
فالإنسان إذا لم يستغل وقته في طاعة الله تعالى، فإن الشيطان لن يتركه في حاله، بل سيهيء له أجواء الانحراف، ويدخله في عالم يعج بالمنكرات والمعاصي، ويولد لديه بلادة وضعفاً في المشاعر والأحاسيس.

وهو ما عبّر عنه الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وهذا هو حال كثير من شباب أمتنا وفتياتنا، حيث إن الأمة تخترق من أقصاها إلى أقصاها، ما بين هدم وتشريد وتقتيل، وشبابنا وفتياتنا يقتلون أوقاتهم بسفاسف الأمور، وكأن الأمر لا يعنيه، وإذا

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٦٥٨) في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، قال الفضيل بن عياض رحمه الله : عالم عامل معلّم يدعى كبيراً في ملكوت السموات.

ذُكِّروا باستغلال أوقاتهم، سوّفوا وأجلوا وقالوا : إن العمر طويل، والوقت مديد.

ومن ذلكم : القنوات الفضائية والعكوف عليها:

إن من أهم المؤثرات التي تؤدي إلى انحراف الشباب والبنات، هو هذا الإعلام العالمي الفاسد، الذي غزا كل الميادين، وعلى جميع الأصعدة والمستويات، بوسائله المختلفة، الفضائيات والإنترنت والمجلات وغيرها، وشبابنا وفتياتنا يقضون معظم أوقاتهم معها، لا سيما الفضائيات والإنترنت، والذي يدير الإعلام العالمي هو أيد أئمة تحارب الدين والأخلاق والآداب، ولكن المصيبة الكبرى أن هذا الإعلام صار مصدراً أساسياً للتلقي، حيث يُستقى منه الغثُ والسمين، وتبقى الضحية الأولى والأخيرة شبابنا وبناتنا.

ومن أهم أسباب الانحراف عن الصراط المستقيم: إهمال الآباء والأمهات:

فإذا تخلص الأبوان عن أولادهما، فإن الانحراف سيجد أمامه طريقاً سهلاً للتولوج إلى نفوس الأولاد، لا سيما في هذا العصر الذي اختلطت فيه المسؤوليات بين الآباء والأمهات، فلا يعرف كل منهما حدود عمله، أو حقيقة رسالته في الحياة، فترى الأب منهماكماً بتجارته أو عمله أو سهراته أو سفراته التي لا تنتهي، والأم مشغولة بنفسها ولبسها

وزياراتها وخروجها شبه اليومي إلى الأسواق، وتبقى الساحة فارغة لعمل الشيطان ووساوسه مع الأولاد.

وصدق الشاعر حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت أو أباً مشغولاً

ومن أسباب الانحراف : اتباع الهوى

واتباع الهوى: هو أن تستسلم نفس الإنسان لكل شاردة وواردة، حتى تتحول إلى رهينة تحت سلطان الشيطان ووساوسه، فلا يمتنع عن النزغات الآثمة، والشهوات الجامحة، بل لا بد أن يغترف منها استجابة لهوى النفس ووسوسة الخناس، دون التزام بضابط أو شرع أو أخلاق، ودون التفكير في الخاتمة المترتبة على ذلك من الفضيحة والفساد في الدنيا، والعقاب والعذاب في الآخرة.

واتباع الهوى لا يجلب إلا الدمار والخراب للبلاد والعباد، كما جاء ذلك في مواطن كثيرة من كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَفَلَّيَهُ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [البجائية: ٢٣] ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ويقول عليه الصلاة والسلام: "الكَيْسُ من دان نفسه، وعمل لما

بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله ^(١) رواه أحمد، وابن ماجه.

ويقول أيضاً: "إذا رأيت شحاً مُطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة" ^(٢) رواه ابن ماجه، والترمذي.

ومن أسباب الانحراف أيضاً ذلك التنافس الفاسد:

الذي يحدث بين الناس من أجل حطام الدنيا، في أشياء تافهة أشغلت الشباب والفتيات؛ كالألْبسة والشعر والجوال ونحوها، وهو تنافس مذموم يفتك بالمجتمع، ويمزق صفه، ويزعزع أركانه، وقد تفشى هذا الداء الخطير في مجتمعاتنا وفي واقعنا اليوم في الوزارات والمؤسسات والأسواق، وحتى في ميادين العلم والمعرفة، وهو تنافس محرم يخشى منه النفاق، أعاذنا الله منه، يقول الله تعالى: ﴿ وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي آلَاءِهِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحَّتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢].

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٩) وابن ماجه برقم (٤٢٦٠) وأحمد برقم (١٧١٦)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٠٠٥٨) في تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المائدة عن أبي ثعلبة الخشني .

وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠١٤) في الفتن، باب قوله تعالى: (يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم). كما أخرجه أبو داود برقم (٤٣٤٣) في الملاحم، باب الأمر والنهي.

بخلاف ما حثَّ عليه القرآن من التنافس المحمود المطلوب في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ويقول عليه الصلاة والسلام: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله عز وجل القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه في الحق آناء الليل، وآناء النهار" رواه البخاري.^(١)

أيها المسلمون! ومن أهم أسباب الانحراف: أصدقاء السوء الذين ينوبون عن الشيطان في انحراف الشباب والفتيات، وذلك لعظم تأثير الصديق على صديقه، فالعاقل من يبحث عن الصديق الذي يستفيد منه. وقد جاء في الحديث (المرء على دين خليله فلينظر أحداًكم إلى من يخالل)^(٢).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه، وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول النبي رجل آتاه الله القرآن.

وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة برقم (١٩٣٠) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه
وأتباعه إلى يوم الدين.

أيها المسلمون! وأما علاج هذه الأسباب وتخفيفها من واقع الأمة،
فيحتاج إلى جهد من الجميع رجالاً ونساءً، مؤسسات وجمعيات
وأفراداً؛ لأن أخطارها الجسيمة عامة لا تستثني أحداً، ومن بين
العلاجات التي يمكن أن تحد من ظهور هذه الأسباب:

من ذات الشباب والفتيات:

حيث يبدأ العلاج الأول من الشباب والشابات أنفسهم، وذلك
باللجوء إلى الله تعالى، واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، والتواصل الدائم مع
هذين المصدرين، في السراء والضراء، وعدم اللجوء إلى غير ذلك؛
لأنه ليس بعد الحق إلا الضلال، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣: الأنعام].

ويقول جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

﴿٣٦﴾ وَلَئِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦،

ويقول أيضاً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وهذا التذكر هو مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والحل والترحال؛ لأنه الملاذ الذي يحصن فيه الإنسان نفسه من شرور الشياطين وهمزاتهم، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فإذا تحرك هذا الشعور الإيماني عند المؤمن، فإنه يتحرر من ربة الهوى، وهمزات الشياطين، ويتحول إلى أداة فاعلة ومؤثرة في مجتمعه، وتصبح أعماله كلها صالحة وهادفة، لتحقيق مبدأ العبودية التي خلق من أجلها في هذه الحياة.

ينبغي على الشباب أن يرقوا إلى ذلك المستوى ويربوا أنفسهم على ذلك.

أيها المسلمون!

ومن العلاج أيضاً أن يقوم الوالدان بمسؤوليتهما.

فكما يتحمل الأب مسؤولية تربية الأبناء، فإن الأم كذلك تتحمل هذه المسؤولية، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦] ولقوله عليه الصلاة والسلام: "والرجل راع في أهله، ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها" رواه البخاري ومسلم. ^(١) وذلك بتربية أولادهم بنين وبنات على الاستقامة والبعد عن الانحراف وأن يهيئوا لهم الرفقة الصالحة

فهي من أهم العلاجات الضرورية واللازمة للشباب والبنات في تأمين البيئة الإيمانية لهم، وهؤلاء الشباب والبنات حينما يصاحبون أهل الإيمان، وأهل العلم والصلاح والأخلاق، فإنهم سيكتسبون منهم تلك الخصال لا محالة، وهذا ما أكدته رسول الله ﷺ بقوله: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" رواه الترمذي ^(٢). وهو ما عبّر عنه الشاعر بقوله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٨٠٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له، وأخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٠٠) في الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، كما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤١٩٣) في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، كلاهما بلفظ: الرجل على دين خليله..

ويقول عليه الصلاة والسلام: " لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي" ^(١) رواه الترمذي، وأبو داود.
ومن العلاج استغلال الفراغ بما يرضي الله تعالى:

إن المؤمن الصادق لا يعرف الفراغ الزمني، وإنما هو في حالة حركة وعمل دائبين، لأنه محاسب على كل لحظة يقضيها في هذه الحياة بالخير أو الشر، فالوقت ليس ملكاً له يتصرف فيه ما يشاء، وكيف يشاء، وإنما هو وسيلة ليتحرك الإنسان من خلاله، والمؤمن العاقل يملؤه بما يرضي الله تعالى، ويحقق الخير والمنفعة لنفسه وأهله وأمته.
يقول عليه الصلاة والسلام: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" رواه البخاري ^(٢).

فينبغي على العاقل أن يستغل أوقاته، ولا يفرط فيها؛ حتى يتجنب المعاناة والمآسي في الدنيا، ويسلم من السؤال عنها يوم القيامة، يقول عليه الصلاة والسلام: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٩٥) في كتاب الزهد عن رسول الله. باب ما جاء في صحبة المؤمن، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود في سننه برقم (٣٨٣٤) في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، عن أبي سعيد الخدري. وأحمد رقم (١١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٢) في الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟" رواه الترمذي ^(١).

أيها المسلمون!

وأخيراً لا بد من التنويه إلى أهمية دور المؤسسات التربوية والاجتماعية في تقويم سلوك الشباب والبنات، وذلك باحتضانهم، وتأمين البيئة الإيمانية لهم، واستغلال طاقاتهم وقدراتهم في أوجه الخير المختلفة، لا سيما في أوقات الفراغ، من خلال الندوات العلمية والنشاطات الثقافية، وتنمية المهارات لديهم، وانتقاء الموهوبين منهم؛ ليكونوا ذخراً للأمة في مستقبلها.

فعلى الجميع التكاتف والتعاون على البر والتقوى حتى يتحصن الشباب والفتيات من كل دخیل عليهم ويسلم المجتمع بأسره.

وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٤١٧) في صفة القيامة والرقائق، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الآزمة الحقيقية

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان من علقه، وصوره فأبدع خلقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل على كل سُلَامَى من الإنسان صدقة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أحسن العالمين خُلُقاً وخُلُقَةً، صلى الله وسلم عليه وعلى آل وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، زينهم بالحلم والعلم والشفقة.

أما بعد: عباد الله! اتقوا الله تعالى، يجعل لكم من أمركم يسراً، واتقوه يجعل لكم فرقانا، واتقوه يجعل لكم من الضيق مخرجاً.

أيها المسلمون! قضت حكمة الله تعالى أن الحياة لا تستقر على حال، أفراحاً وأتراحاً، على مستوى الأفراد والمجتمعات والأمم، فهذا هو العالم بأسره يتقلب في أزمات حادة ومشكلات كبرى، تعظم في قطر، وتخف في قطر آخر، أزمات خانقة، ومنعطفات مروعة، تحمل بعضها في طياتها مؤشرات خطيرة مؤذنة بولادات متسعة لكثير من المشكلات المتنوعة كماً وكيفاً.

أيها المسلمون! ولا يزال في هذه الأوصاف إجمالية، فلنلج إلى شيء من التفصيل، فهذا هي المشكلات الاقتصادية الكبرى، فأينما قلبت

طرفك في شمال الأرض وجنوبها، وشرقها وغربها، إلا وجدت شبح الانهيار الاقتصادي مخيماً على تضخم رؤوس الأموال وكثرة المنتجات، ووجود وسائل الإنتاج المتنوعة، واكتشاف المزيد من المعادن، ووفرة مخزون النفط وغيرها، ومع ذلك تقام المؤتمرات، وتكثر الندوات، محللة أسباب تلك الانهيارات، وعوامل زيادة المديونيات، وتضخم المشكلات في بلدان كبرى وصغرى.

أيها المسلمون! وحِّثْ ولا حرج عن المشكلات الاجتماعية في أنحاء من العالم كثيرة.. وعن تمثل أزمات خانقة.. على رأسها: النمو السكاني المتزايد، وإقامة المؤتمرات التي تقام ضده، الذي يرفع مستوى الطلب الاقتصادي.. مشكلات الأسرة، والأولاد بلا آباء أو أمهات، وتفشي الزنا، والتفكك الأسري، والطلاق والفراق، وعدم بناء الأسرة على الوضع الصحيح، وكثرة الملاجيء ودور العجزة، وفي المقابل صيحات متوالية لهضم حقوق الأسرة، والمرأة والطفل والخدام، والعامل، والموظف.

أيها المسلمون! أما الأزمات السياسية والعسكرية، فغير خافية على ذي لب وبصيرة في تسلط القوي على الضعيف، وقتله، وسلبه، ورخص دمه، وتحمله ما لا يطيق، وهدم بيته وسكنه، وتشريد أهله، وتيتيم أطفاله، والعبث بمكتسباته ومقدراته، وفي النتيجة يستحق العقاب العسكري، والحصار الاقتصادي، وإدارة شؤونه، والتفكيك الاجتماعي،

والاستيلاء على خيراته، فضلاً عن الأحكام المسبقة عليه من الهيئات والمجالس الكبرى.

أيها المسلمون! أما أزمات الأخلاق، فتصدر تلك الأزمات، فقد أقل نجم الكثير منها على مختلف المستويات، ولعل من أبرزها على مستوى العالم كله: ضعف الأمن النفسي، والطمأنينة والسكينة، وتغلغل الاضطراب والقلق والاكتئاب.. ووصول هذه الحياة إلى حافة الانتحار، والتخلص من أعباء هذه الحياة.. وقل مثل ذلك كثير، فمن تلك الأخلاق في مكان العفة والحياء، والفضيلة والصدق، والتعامل الصادق، والكرم والجود، حتى وصل الأمر إلى محاربة تلك الفضائل سراً وجهاراً، فجعل إطعام الطعام، وإيواء الأيتام، والتصدق على المحتاجين.. من أكثر عوامل الإرهاب التي تؤخذ على المتعامل بذلك، وتعمق أزمة الأخلاق في مواقع متعددة إلى الانحطاط المتنامي، وذلك بإقرار زواج الذكر بالذكر بما يسمونه (المثلية).

أيها المسلمون! ولا شك أن هذه الأزمات السابقة الذكر، تنطلق من الأزمة الأم، والمشكلة الكبرى، والمعضلة العظمى، وهي أزمة المنطلقات الفكرية، والرؤى الثقافية التي تقود إلى تعميق تلك الأزمات ونشرها واستعمالها.. ولو دقت النظر لوجدت عبثاً منقطع النظر، بلا حدود من الفكر والثقافة، ومن أبرز الأمثلة في قلب المصطلحات الفكرية، وتسييرها نحو ما يريد أؤلئك العابثون.. ولكم - أيها

المسلمون- أن تستعرضوا عدداً من المصطلحات، وكيف قادت أهلها إلى كثير من الأزمات؟! فما مدلول مصطلح السلم والحرب، والإرهاب والأمن، والعدل والتسامح، والربا والفائدة وغيرها مما لا مجال لحصره؟ فلو بحثت عن إجابة لوجدت خلطاً عجيباً، وتناقضاً واضحاً. أيها المسلمون! هذه إشارات عابرة، وعبارات خاطفة لما يعيشه العالم من هذه الأزمات.. والأمة المسلمة من ذلك العالم التي تحيط بها تلك المحن، فما أسباب ذلك؟ وما عوامل امتدادها وتحقيقها؟ وتكاثرها وانتشارها؟.

ولا شك أن إجابات العالم تختلف، ورؤاه تتنوع بحسب المعتقدات التي يعتقدونها، والمبادئ التي يعتقدونها، والمنطلقات التي يؤمنون بها، وينطلقون منها، والثوابت التي يدينون بها. أما نحن المسلمون! فلنا مبادئنا، وثوابتنا، وأصولنا، ومصادرنا، لا تزعزعنا الأعاصير عنها مهما ضعف المسلمون، وتسلبت عليهم غيرهم، وكثر الدخن فيهم.

تلك المبادئ والثوابت والأصول منطلقة من المصدر الحق: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فمهما تغيرت الأحوال، وتقلب الظروف، فسيبقى المصدر الحق ثابتاً لا يتبدل ولا يتغير، وإن اختلف الزمان، وتغير المكان.

اسمعوا- عباد الله !- لمصدرنا وهو يشخص المشكلة، ويوضح الداء في كلام موجز، وعبارات جامعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرّوم: ٤١].

إن البعد عن الله، وعن تعاليم الله، ومخالفة سنة الله يوقع الأمة في عواقب وخيمة، واستمعوا إلى رسول الله ﷺ، وهو يشخص الداء بأسلوب آخر: (خمس بخمس، قالوا يا رسول الله: وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا نشأ فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طفقوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر) رواه الطبراني بسند حسن.^(١)

هذه سنة الله تعالى، معادلة قائمة لا تختلف، هي للسابقين، وهي لللاحقين، واستمعوا لهذه النماذج من كتاب الله تعالى، وهو يقص علينا طرفاً من أحوالهم مع رسلهم، وكيف كذبوهم مع دعوتهم إياهم لما فيه

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١٠٨٣٠)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما. وانظر البيان والتعريف ١٨٨/١ برقم (٩٩٠) حرف الخاء. وشرح الزرقاني على الموطأ ١٣/٣. وقال بعد أن ساق الحديث: رواه ابن ماجه والطبراني، وله شاهد عن ابن عمر مرفوعاً نحوه. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٣١٠/١ برقم (١١٤٦): وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

خلاصهم ونجاتهم؟! قال تعالى عن نوح وقومه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [٦٤] [الأعراف: ٦٤] ، وقال تعالى عن هود وقومه: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٧٢] [الأعراف: ٧٢]. وقال تعالى عن ثمود: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنَّكُمْ بِهِ كَاذِبُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ آفَتَنَا بِمَا نَعُدُّ نَآ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٧٧] فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ [٧٨] [الأعراف: ٧٦ - ٧٨] ، وقال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [٨٣] وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ [٨٤] [الأعراف: ٨٣ - ٨٤] ، وقال تعالى عن قوم شعيب الذين أدخلوا بالاعتقاد: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ﴾ [٧٨] [الأعراف: ٧٨] هذه عباد الله سنة الله.. فالداء العضال، هو البعد عن الله، فهل يعني كل مسلم ذلك؟! هذا هو المؤمل والمرجو.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله ومن نهجه اقتفى، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: لا شك - عباد الله! - أن المسلم العاقل يؤذيه ما يراه ويسمعه من تلك الأزمات الخانقة التي تعيشها أمتة المسلمة، اقتصادية وسياسية، اجتماعية وتربوية، فكرية وأخلاقية، وغيرها، تؤذيه تلك الأزمات لما يعلم من نتائجها الوخيمة، وعواقبها الخطيرة، كما حصل للأمم السابقة عندما خالفت السنن الإلهية، وابتعدت عن التعاليم الربانية.

ولكن المسلم، وهو يتصور بوضوح المشكلة وحجمها وأسبابها، تلوح في الأفق لديه بشائر عظيمة، وتفاؤل وآمال بانكشاف الغمة، مهما طال زمانها أو قصر؛ ما عمل المسلمون بأسبابها التي أوضحها ربنا جلّ وعلا في كتابه الكريم بما لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل، اسمعوا علاج تلك الأزمات التي تحمل البشائر، يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن

كَفَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]، وفي آية أخرى يقرر ربنا عاملاً من عوامل البشائر والفرح، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧﴾ [محمد: ٧].

وفي موقف آخر يشخص العلاج نفسه بأسلوب آخر، يقول تعالى عن نوح مخاطباً قومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَبَثَّرَ بِمُؤْمِنَيْهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

استمعوا- عباد الله- إلى هذا التقرير العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الأعراف: ٩٦].

إنه الحق الثابت، والسنة المحكمة، لا علاج، ولا دواء مهما عقدت المؤتمرات، والندوات، وتناغمت الصيحات إلا بما قرر هنا: الإيمان والعمل الصالح، والعلاقة بالله عز وجل، علاج جميع المحن والأزمات، هكذا قضى الله، هذا هو العلاج- عباد الله- فمن هو المعالج والمداوي؟ إنه باختصار شديد أنت، نعم أنت!! بإيمانك وعملك الصالح، نعم أنت، في تربيتك لأسرتك، وأنت في عملك القويم في

مجتمعك. كما يعني غيرك، كل في موقفه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فابدأ، حفظك الله، قبل فوات الأوان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين كما أمركم الله في كتابه الكريم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ألا إن نصر الله قريب

الخطبة الأولى

الحمد لله جعل قوة هذه الأمة في إيمانها، وعزها في إسلامها،
والتمكين لها في حسن عبادتها، أحمدته سبحانه وأشكره، وأتوب إليه
وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا
ونبينا محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، جعلنا
على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، صلى الله وسلم وبارك عليه،
وعلى آله وأصحابه كانوا في هذه الأمة قدوتها ومصابيحها، والتابعين
لهم بإحسان. أما بعد:

عباد الله! فاتقوا الله، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴿٨٥﴾
يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]
عباد الله!

روت كتب السير أن الفرنجة أعدوا جيشاً عظيماً للاستيلاء على
الأندلس، ولكن قبل أن يتحرك هذا الجيش تنكر أحد جواسيسهم في
صورة تاجر، ودخل البلاد لكي يتعرف على أحوال المسلمين، وفي أول
خطوة داخل أرض الأندلس الإسلامية، التقى هذا الجاسوس المتنكر
بصبي مسلم يبكي تحت ظل شجرة، قال الجاسوس للصبي: لماذا
تبكي؟ فقال الصبي: أبكي لأنني رأيت طائرين فوق هذه الشجرة، فأردت

أن أصيدهما بضربة واحدة غير أن طائراً واحداً سقط بينما طار الآخر ونجاً!! فرجع الجاسوس من لحظته إلى قومه ونصحهم بالتريث والانتظار، حتى تتبدل أفكار هؤلاء الأطفال، لأن قوماً هؤلاء أطفالهم لن يهزموا مهما بلغت قوة أعدائهم! لهذا لا بد من استعمال سلاح أشد فتكاً من سلاح السيوف والرماح! ألا وهو سلاح النساء والغناء، والملذات والشهوات، ويا للأسف، فلقد حدث هذا فعلاً، وبعد سنوات قليلة، أصبح الأندلس فردوساً مفقوداً، وتحول إلى قصيدة يتعزى بها المسلمون إلى يومنا هذا!!

عباد الله!

في هذه الأجواء القاتمة، والأيام الحالكة من تاريخ الأمة، وفي هذه الفترة العصيبة، تحتاج إلى وميض من نور، وبشارة أمل تبشر بمستقبل مشرق، وقد كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، وكان عندما تجتاح الكرب والشدائد يبشر أصحابه بالنصر والتمكين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله!

والمبشرات في عودة الإسلام، وظهور أهله، واتصال حاضريهم بماضيهم كثيرة، وهي متحققة لا محالة بعز عزيز، أو بذل ذليل، وما سرى إلى نفوس فئة من المسلمين من اليأس والعجز بما يرون من الحاضر الأليم جهالة لا قرار لها، فمهما فشت الضلالة، واستحكمت

الغواية، واستشرى الفساد، وانتهكت الحمى، فسيبقى الإسلام، وتمتد رقعته، ويبلغ ما بلغ الليل والنهار، بجهود كل مسلم صادق، جاد غير هازل.

أمة الإسلام!

إن من أهم البشارات لعلو الإسلام ما وعد الله به من نصره دينه ورسوله وحزبه المؤمنين، وخزي الكافرين والمنافقين بأنه وعد محقق لا محالة، ولكن الشرط في ذلك النصر أن نقوم بالإسلام، ونحرك به الأجساد، وأن نعمل لله صادقين موقنين (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) [الروم: ٤٧] فالتصبر للمؤمنين وعد من الله، وما من شك في تحقيقه في واقع الحياة، وإن تأخر عن حساب البشر، واستبطؤوا النصر، فقد (خلق الإنسان من عجل) [الأنبياء: ٣٧] . ويقول جل وعلا: (ألا إن نصر الله قريب) [البقرة: ٢١٤].

وروى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، عن تميم الداري: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر"^(١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٦٩٩٨) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

عباد الله!

قد يبطل ظهور الإسلام في فترة من الوقت، وقد يتأخر النصر؛ لأن بناء الأمة لم ينضج، ولم يشتد ساعده، ولأن البيئة لم تنهض لاستقباله، ويتأخر النصر لتزيد الأمة صلتها بالله عز وجل، ولكن يتطهر معسكر الإيمان مما يتخلله من مرضى القلوب، وقد يبطل النصر لتتجرد الأمة في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعواته، أما الباطل، فمهما استعلى، فهو طارىء وزاهق، ولا بد من هزيمته أمام الحق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) [الإسراء: ٨١].

وحكمة الله اقتضت أن يوجد الباطل لاختبار أوليائه ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]، وإلا لو شاء لم يكن هناك كفر ولا باطل، قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنصَرَفَتْ عَنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

عباد الله!

إن لله سبحانه سنناً لا تتغير، يحكم بها الكون والحياة والإنسان، منها متطلبات النصر ومسببات الهزيمة.

فمن أولاهما: ترسيخ العقيدة وغرس الإيمان، لأن الإيمان - عباد الله - يزكي النفوس، ويطهر القلوب، فتصلح، ويكتب الله النصر

والتمكن للمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۝٥١ ﴾ [غافر: ٥١].

ومن أسباب النصر وأهمها: توحيد الله تعالى، وإخلاص الدين
له، والتحاكم إلى شرعه، والاهتداء بوحيه، ونبذ كل ما يخل به،
ويخدش بكماله فكم جرّت هذه على أمة الإسلام من الشرور والويلات
والهزائم والكربات؟

ومن أسباب النصر - عباد الله - نصرة دين الله، والقيام به قولاً
وعملاً، واعتقاداً ودعوة، مع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر
بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهٗمُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ۝٤١ ﴾ [الحج: ٤٠ ، ٤١].

فهؤلاء هم الذين ينصرون نهج الله سبحانه الذي أراده الله للناس
في الحياة.
عباد الله!

ومن وسائل النصر: الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وعلى قدر
إخلاص المرء لربه وتجرده له يكون مدد الله وعونه وكفايته، وإن
الإمداد على قدر الاستعداد، فعلى حسب ما في القلوب من تجريد النية
وصفاء الطوية يكون النصر ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشَّجَرَةَ فَلَمَّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَانزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنبَتَهُمْ فَتَمَعَا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴿[الفتح: ١٨]

"ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله".^(١)

ومن وسائل النصر - يا أمة الإسلام: التوكل على الله وحده، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ يوم الأحزاب لما أهدقت بهم الأعداء وتكالبت عليهم، وحاصرهم المشركون ومن معهم، وعظم الخطب، واشتد الكرب (وزلزلوا زلزالاً شديداً) [الأحزاب: ١١] وبقوا شهراً على تلك الحال الحرجة، والأيام العصيبة أتى أرحم الراحمين بالفرج من عنده، وولى أعداؤهم خائبين ذليلين، ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين بتذكر هذه النعمة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَاسْلَمْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

وفي يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٣) في العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، ومسلم برقم (٥٠٢٩) عن أبي موسى الأشعري.

الأرض" فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ نَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَنْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة، رواه مسلم^(١).

وهذا موسى عليه السلام كليم الرحمن، حين فرّ من فرعون وجنوده، وكان أمامه البحر الخضم، وخلفه الطاغية فرعون وجنوده، فلما ضاقت السبل، وانقطعت الأسباب (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أجابهم موسى عليه السلام بثقته بموعد الله تعالى، وقوة توكله على ربه، فقال: (كلا إن معي ربي سيهدين) فحين علم تعالى بعلمه الذي وسع الكون، قوة إيمان موسى، وتوكله عليه أجابه من فوق سبع سماوات بقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]

أمة الإسلام! ومن متطلبات النصر: التجل بالصبّر، وهذا ما نستفيده من قول الرسول ﷺ: "يا أبا جندل! اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً" رواه أحمد^(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٦٨٧) في الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخرجه البخاري نحوه برقم (٣٩٥٢).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٩٣٠) من حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان ابن الحكم، في حديث طويل. وأخرجه مسلم نحوه برقم (٤٧٣٢).

وفي حديثه ﷺ لابن عمه عبدالله بن عباس: "وَأَنْ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ" ^(١)
 وفي ختام عدد من السور المكية أوصى الله رسوله ﷺ بالصبر: ﴿وَاتَّبِعْ مَا
 يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَ اللَّهُ بِخُكْمٍ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

فاتقوا الله عباد الله، وحققوا نصر الله في أنفسكم تنصروا في
 واقعكم وعلى أعدائكم، وبارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني
 وإياكم بهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي
 ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٨٠٤) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه ولي الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله!

إن من أعظم العوائق التي تقف في طريق النصر: اقتراف الذنوب والمعاصي والركون إلى الدنيا، فحين أعجب الصحابة رضي الله عنهم بكثرتهم يوم حنين كانت الدائرة عليهم في أول الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وحين عصى الرماة رسول الله ﷺ يوم أحد بقوله: "إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم، قال، فأنا والله رأيت النساء يشتدون، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير:

أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنائين الناس فلنصيبن

من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين" رواه البخاري عن البراء بن عازب. ^(١)

فهذا الذنب - عباد الله - غير العمد كان سبب الهزيمة، ويا ليت شعري أين موقع هذا الذنب بجانب المنكرات المعاصرة، والموبقات القائمة، والعلل المهلكة.
عباد الله!

إن أمة الإسلام إذا ركنت إلى شهواتها الحيوانية البهيمية، ورضيت بالذل والهوان، فسوف تمر عليها عواصف من الآلام العصبية، والنكبات المريرة، وسوف تلاقي أبشع المصائب في تاريخها، وسوف تدفع ثمن ذلك غالياً، دينياً ودنيوياً، وستنساق لعدوها كما تنساق الشاة للجزار، وتكون رهائن بأيدي الأعداء.
أيها المسلمون!

إنه بالنظر إلى المقاييس المادية يظن الناظر إلى أحوال المسلمين أنها سوداء قاتمة، لكنها في موازين الإيمان مبشرة مطمئنة، فكلما اشتدت المحن ظهرت المنح، وقرب انبلاج الفجر.
ولا يدري المسلم متى النصر إلا أننا نعلم يقيناً أن الأصل في

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٠٣٩). في الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب.

الإسلام العلو والسيادة والتمكين، فلا نستئس من ضعف المسلمين حيناً من الدهر، فقد قال ﷺ: "الإسلام يعلو ولا يُغلى"، رواه البخاري،^(١) وأخبر ﷺ باستمرار ديانة الإسلام فقال: "ولا يزال الإسلام يزيد، وينقص الشرك وأهله حتى تسير المرأتان لا تخشيان جوراً، والذي نفسي بيده لا تذهب الأيام والليالي حتى يبلغ الدين مبلغ هذا النجم" رواه الطبراني^(٢)، نعم أيها المسلمون! إنها بشائر تذيب كل يأس، وتدفع كل قنوط، وتثبت كل صاحب محنة، وتريح قلب كل فاقد للأمل من أبناء هذا الدين، قال ﷺ: "بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض" رواه أحمد.^(٣)

عباد الله!

فالله الله عباد الله! في تبصر أموركم، والوعي الوعي في ظروفكم وأحوالكم ومدارسة سنن الله التي لا تتخلف، ثم اعملوا وأبشروا، فكلما زادت الغيوم هطلت الأمطار، وأنبتت الأرض وازينت، عجل الله الفرج

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وجعله البخاري من كلام ابن عباس رضي الله عنهما. وقال ابن حجر في الفتح ٤٢٠/٩: لم يقع لي موصولاً عن عبد الوارث. وأخرجه الدارقطني برقم (٣٦٢٠) مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٧٥٢٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢١٢٥٨) من حديث أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

والفجر، وأذل أهل النفاق والكفر.

ثم صلوا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

إن الله لا يحب المفسدين

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أتم النعمة وأكمل الدين للعباد، وحثهم على ما فيه صلاحهم في الدنيا والمعاد، وحذرهم من البغي والطغيان (والله لا يُحبُّ الفساد) [البقرة: ٢٠٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذم الفساد وأهله في كتابه المبين، فقال جل وعلا: (والله لا يُحبُّ المفسدين) (المائدة: ٦٤).
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، بعثه الله رحمة للعالمين، فحفظ به الملة من أهل الزيغ والعابثين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى تفلحوا في الأولى والآخرة.

أيها المسلمون: أرسل الله تعالى رسله بالتوحيد وإقامة الدين، وكان من سنته عز وجل في كل زمن وحين، أن جعل لهم أعداء محنة وابتلاء، قال جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) [الفرقان: ٣١].

أيها المسلمون: إن الفساد والمفسدين أصناف كثيرة، منها ما هو ظاهر معلوم، فالحذر منه قريب، والسلامة منه مأمولة، لمن اتقى الله واهتدى. ومنها ما يخفى على كثير من الناس لما يحيط به من مكر وتلبيس ومخادعة للناس، فلا يفتن له إلا أولو الألباب؛ فيقومون بدورهم في تحذير الأمة، وحماية الملة، من شر الفساد والمفسدين.

وإن أعظم أنواع الفساد وأشدّها وطأة: السعي في إفساد الدين، وفتنة الناس في دينهم. ولقد سجل التاريخ بأحرف سوداء نماذج من هؤلاء .. منهم وعلى رأسهم فرعون، الذي علا في الأرض، وادعى الألوهية، وحارب نبياً مرسلأ كريماً من أولي العزم، وفتن الناس في دينهم وسامهم سوء العذاب ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَعِجِي، نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٤] [القصص: ٤]

ولقد أكثر القرآن من ذكر خبره وكفره وصدده عن سبيل الله في مواضع كثيرة، ليتعظ بها كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال الله جل وعلا في قصة استكباره وطغيانه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي اللَّهُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٣٨] واستكبر هو وحنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلهًا لا يرجمون ﴿ ٣٩ ﴾ [القصص: ٣٨-٣٩].

فماذا كان مصيره عباد الله؟ ! قال الله جل وعلا: ﴿ فَأَخَذَتْهُ
وَحُوتُهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٤٠ ﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ
أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ ٤١ ﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ٤٢ ﴾ [القصص: ٤٠-٤٢].

فهذا صنيعه وإجرامه، وهذه عاقبته و عاقبة أمثاله من كل مفسد
جبار.

أيها المسلمون! وليس يبعد عن فرعون.. رجل من قومه وفي
عصره، كانت فتنته وفساده في المال؛ حتى كاد بعض الناس يفتنون به،
لأن الله عز وجل الذي لا يحب الفساد والمفسدين جعله آية لهم،
يرونها رأي العين، إنه "قارون" رمز ومثل للطغاة والمفسدين الذين
يكون المال سبباً في استكبارهم وعلوهم في الأرض، قص الله جل
وعلا خبره علينا في آيات كريمات تأخذ بالألباب، وتعظ القلوب بأبلغ
المواعظ، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ
مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ٧٦ ﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ٧٧ ﴾ [القصص: ٧٦-٧٧].

وهذا - عباد الله- هو شأن المسلم، يرى المال نعمة استخلف

فيها، فيأخذها بحلها، ويضعها في حقها، اعترافاً بالفضل لمسيديها وواهبها جل وعلا، لكن قارون عميت بصيرته، وانتكست فطرته ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨) فخرج على قومه في زينته ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩) [القصص: ٧٨-٧٩].

فتأملوا عباد الله، فإن من الناس من لا تجاوز نظرتهم للمال وأرباب الشراء هذه النظرة السطحية البائسة، لكن أهل العلم الذين يخشون الله يصححون هذه النظرة الخاطئة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا ۖ فَخَسَفْنَا بِهِمْ وَبِدَارِهِمُ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتَةٍ يَصُورُونَهُ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (٨١) وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الزَّرْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانُ لَا يَقْلُحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣) [القصص: ٨٠-٨٣].

أيها المؤمنون! وهكذا يكون عقاب الله ونكاله بمن استعمل نعمته جل وعلا في الطغيان والصد عن سبيله، فهذا فرعون بدّل نعمة الله بإرسال رسول كريم إليه كفراً وعناداً وصدّاً عن الهدى وإفساداً في

الأرض، وهذا قارون بَدَّلَ نعمة الله بالمال والغنى والشراء بالعلو والتعظيم بها على الناس وجحد منة الله عليه بها؛ فماذا كان مصيرهما عباد الله؟!

وهكذا -عباد الله- مصير سائر المفسدين الزائغين، من الأمم والناس أجمعين: قال المولى الجليل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ۖ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ بِالسَّحَرِ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَهٌ مُرْصِدٌ ۖ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦-١٤].

عباد الله!

ولقد سجَّلَ تاريخ الأمة الإسلامية صوراً كثيرة للفساد والمفسدين، لأناس مارقين، كانوا رؤوساً للفتن، وسبباً في إغواء الناس وصددهم عن الهدى، وبلغ من مكرهم وكيدهم تفريق الأمة إلى طوائف وفرق وأحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

عباد الله!

وإن من أشر هذه النماذج الخبيثة في تاريخ الأمة الإسلامية: فتنة عبدالله بن سبأ، الذي عرف بابن السوداء، وهو يهودي من صنعاء، أظهر الإسلام وباطنه الكفر، ثم بدأت مكائده الخبيثة بادعاء التشيع لعلي رضي الله عنه، وهو الذي تنسب إليه فرقة "السبئية" الذين تمادوا في

الهوى والغى، حتى قالوا بالوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فلما رأى البائس ابن سبأ أن أمر الإسلام بدأ ينتشر ويظهر، فكر وقدّر أن هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله، فبدأ بالمدينة، لكن الله تعالى دحر شبهاته بالعلم وأهله، كلما رمى شبهة رُد عليها. فبدأ - عليه لعنة الله - يجمع له أتباعاً ويثير الفتن، حتى وقعت الفتنة في زمن الخليفة الراشد العظيم ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، التي انتهت بقتله رضي الله عنه وأرضاه، وما تلا ذلك من فتن بين المسلمين، وظهور فرق ضالة كالخوارج، إلى غير ذلك مما هو مسطر في ديوان التاريخ من صفحات مؤلمة للنفوس المؤمنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وهكذا - عباد الله - يبلغ المكر والكيد والتفريق، بأيدي أمثال هؤلاء المارقين المفسدين، الذين يتخفون ويخادعون، ويندشون بين المسلمين، ثم يثيرون الفتن بين الناس، فيحملونهم بسببها على إزهاق الأرواح واستحلال الدماء.

أيها المسلمون! فما بال أناس من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا لا يعون دروس التاريخ؟! أين من درّس التاريخ ممن يعيشون اليوم في الأرض فساداً، ويزعمون أنهم مصلحون؟! وهل من الإصلاح التفجير والتدمير وترويع الأمنين، وإزهاق الأنفس المعصومة وما يترتب على ذلك من تيتيم أطفال وترميل نساء وهدم بيوت بأكملها؟!!

إننا ندعو من ضل الطريق، واستهوته الشياطين للسير في هذه الدروب المظلمة أن يراجعوا أنفسهم، ويراجعوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ؛ وإننا لعلّى يقين أن من صدق في تحري الصراط المستقيم ليربأ بنفسه عما يفسد عليه دينه ودنياه، فضلاً عما يتسبب فيه من إيذاء عظيم للمسلمين.

هدى الله شباب المسلمين، وأخذ بنواصيرهم إلى صراطه المستقيم، وحفظهم والأمة من شر المفسدين والمنافقين.

أيها المسلمون! ومن صور الفساد والإفساد في الأرض التي تتفق العقول على ضررها وخطورها، وتُعد من الأخطار الويلة التي عمت بها البلوى في زماننا هذا: خطر المخدرات بأنواعها العديدة التي تفتك بشباب الأمة وتعبث بعقولهم، هذه الثروة العظيمة التي هي عماد الأمة.

عباد الله!

كم من بيوت عامرة تسببت هذه الآفة الويلة في قلب أفراحها أحزاناً، وسرورها همماً وغمماً؟!

كم من شباب في زهرة العمر اختطفوا من بيوتهم ودراستهم ونجاحهم ونبوغهم؟!

كل هذا بسبب أيادٍ مجرمة أثيمة، وخونة لدينهم وأمتهم، ممن يسعون إلى إفساد الشباب بسموم المخدرات بأنواعها.

وإنه لمن الإنصاف أن يُسدى الشكر لولاة أمر بلادنا لجهودهم العظيمة في ملاحقة هذه العصابات، وإيقاع أشد العقوبات عليها. فجزاهم الله خير الجزاء، وسددهم وأعانهم، ووفقهم وولاة أمر المسلمين أجمعين.

فاتقوا الله -عباد الله!- في بيوتكم وأمتكم، ولا يكونن امرؤ بغفلته وتساهله في تفقد أحوال بنيه سبباً في فسادهم، وهو لا يدري. اقتربوا من أولادكم، واملؤوا فراغهم بما يشغلهم عن المفسدات؛ حتى لا يتسبب الفراغ النفسي في لجوئهم إلى صحبة سوء.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي كرم بني آدم، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأسبح بحمده بكرة وأصيلاً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه إلى الناس هادياً ومبشراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعهم بإحسان، وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله!

ومن صور الفساد والإفساد في واقعنا المعاصر: صورة شوهاء منكرة لقوم من جلدتنا يتكلمون بالسبوتنا، ويخادعوننا بالليل والنهار عن ثوابتنا وقيمنا، فيلبسون الحق بالباطل، ويلوون الألفاظ، ويقلبون الحقائق، تحت مزاعم التحرير والتطوير والتنوير - زعموا - يريدون لنسائنا وبناتنا الانطلاق في ميادين العمل والاختلاط بالرجال، بلا ضوابط ولا قيود؛ حتى يتسنى لهم إخراجهن شيئاً فشيئاً من حصون الحجاب والحياء والفضيلة.

ويظاهر هؤلاء ويعينهم ويمدهم في غيهم قرناء لهم يقومون على وسائل إعلامية ترفع شعار الفجور والمجون والرذيلة، من فضائيات هابطة، ومجلات ساقطة، وغيرها من الوسائل التي عمّت بها البلوى، وغزت بيوت المسلمين إلا من رحم الله!

أيها المسلمون! وبالرغم من هذه الفتن والمغريات بالفساد تقف المسلمة الربانية شامخة لا تهزها زوابع المفسدين، ولا تغرّها تسمية الأشياء بغير اسمها، فبطلان دعاوى المفسدين يغني عن إبطالها، ولم تعد تنظلي إلا على من في قلوبهم مرض وهوى.

ولم تزل المرأة المسلمة حتى يومنا هذا تقدم صوراً رائعة من العطاء والإبداع لم تحتج معها إلى نبذ حياتها أو خلع حجابها أو التنكر لما أمرها به المولى جل وعلا. فما رأي دعاة التحرير المزعوم في هذه الصور المشرقة؟!

وهذه كاتبة أمريكية بعد أن قضت عدداً من الأسابيع في إحدى العواصم العربية، ثم عادت إلى بلادها، تقول: "إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخلق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي.. والإباحية الغربية التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا". انتهى كلامها، والفضل ما شهدت به الأعداء.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، ونسأل الله أن يحفظ نساء الأمة

من مكر الماكرين.

أيها المؤمنون! وبقدر عظم جريمة الفساد والإفساد؛ يعظم دور المصلحين؛ من الولاة والعلماء، والدعاة والمفكرين، والأميرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، الذين يراغمون الفساد، ويدروونه عن العباد والبلاد، فإنهم - بحول الله وقوته - أوتاد يحفظ الله بهم الأمة من الهلاك، قال الله جل وعلا: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَهُوتَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [هود: ١١٦-١١٧].

والحمد لله الذي شرف هذه البلاد بولاة وعلماء ودعاة، وهيئات رسمية، ومؤسسات غير رسمية، للدعوة والإفتاء والإرشاد وغيرها، تسعى لإزالة المنكرات والتخفيف منها، وحراسة العفاف والفضيلة بين الناس. فنسأل الله أن يعينهم ويسددهم ويوفقهم في هذه المهمة العظيمة.

ولا يعني ذلك - عباد الله - قصر هذا الدور عليهم، فكلنا راع ومسؤول عن رعيته، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف واجب على كل مسلم بقدر استطاعته؛ حتى يسلك بنفسه في درب النجاة.

فاتقوا الله عباد الله... احفظوا أماناتكم، وارعوا مسؤولياتكم، واتبعوا علماءكم.

واحدروا وحذروا من الفساد في الأرض بكل صورته، وليعلم كل مسلم ومسلمة أنه لبنة في حصون الأمة، فلا يؤتين من قبله. ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله في كتابه الكريم حيث قال :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقفات مع أحداث الاستهزاء بالنبي ﷺ

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أثنى على عبده ورسوله محمد ، وامتدحه بجميل خلقه وكريم آدابه، أحمد ربي وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو ربنا الرحمن آمنا به، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، أنزل عليه الذكر وحفظه على مرّ الدهر وتعاقب أحقابه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما طلعت شمس، نهار وأضاء كوكب شهابه.

أما بعد: اتقوا الله في أقوالكم وأعمالكم تكونوا من المفلحين، أيها المسلمون: تبرز بين وقت وآخر، أحداث الإساءة إلى رسول الله ﷺ وردود أفعالها متوالية، ولذلك نقف معها بعض الوقفات.

الوقفة الأولى:

إنّ من المتقرر أن رسول الله محمداً خاتم الأنبياء، وأفضل الرسل، وأزكى البشر، وأنّ حرمة أعظم الحرمات، وأنّ محبته دين، وانتقاصه كفر، ومن تعرّض له بسوء، فدمه هدر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

ومن أعظم الأذى الاستهزاء به، والسخرية منه، وتنقصه بأي أسلوب، وأي طريقة.

إن سيرة رسول الله محمد ﷺ أصحُّ سيرة لتاريخ نبي مرسل، سيرة واضحة مدققة محققة في جميع أطوارها ومراحلها، قال عنها كاتب من غير المسلمين: "محمد هو النبي الوحيد الذي وُلد تحت ضوء الشمس"، إشارة من هذا الكاتب إلى دقة سيرته عليه الصلاة والسلام، وصحتها وتوازنها.

يُقال ذلك ويشار - عباد الله - والمسلمون يعيشون اليوم هذه الحملة المسعورة الموجهة نحو دينهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حملة ظالمة آثمة هي امتداد لحملات من التشويه والنيل والجور التي طالت رسالة الإسلام ونبي الإسلام. وصدق رسول الله إذ قال "سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين..."^(١).

الوقف الثانية:

لقد بدأت هذه العداوة للرسول ﷺ بالظهور علانية من قبل مَنْ عندهم علم من الكتاب من اليهود الذي فيه البشارة بنبي آخر الزمان،

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٠٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، في الفتن، باب شدة الزمان. وصححه الألباني.

الذين واجهوه بالحسد والبغضاء لما اختاره الله وبعثه بالهدى ودين الحق.

وفي سنوات بعثته الوضيئة تعرض النبي ﷺ لأصناف من الناس يعادونه، ولصنوف من البلاء يلاقيها كلها بصبر وثبات، يوصف بالساحر والكاهن والكذاب والشاعر، ويستهزأ بأصحابه وأتباعه، وفي المدينة النبوية تكال له السخریات، وفي الحروب يشج وجهه، وتكسر رباعيته، ويمثل بعمه، وهو ساكت لا يتأفف، ولما علم الكفار وأهل النفاق منزلة أم المؤمنين عائشة لديه بين سائر نسائه - ﷺ - لم يتركوه إلا وخاضوا في عرضها بعدما كانوا يرمونه بالألقاب البذيئة، بل يدعوا لهم ﷺ بعد أن طلب منه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ثم مات عليه الصلاة والسلام متأثراً بطعام صنعته يهودية من يهود المدينة. ^(١)

ثم تحصل فتنة الردة بعد وفاته، ويظهر أدياء النبوة حسداً للنبي ﷺ على مكانته، وتستمر صور العداء في تواصل تذكية روح الشر وعدم الرضى التي قال الله عنها: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مَلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم (٢٩٩٢) ومسلم في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين برقم (٣٣٥٢) عن عائشة رضي الله عنها.

إنهم يعلمون ونعلم، ويرون ونرى. إنَّ الذين يدخلون في دين الإسلام في ازدياد وتنامٍ على الرِّغم من كل الظروف والمتغيرات والأحداث والمقاومات، بل والتهديد والتشويه للإسلام وأهله ونبيه وقرآنه في تعدد وتبادل للأدوار بين أعداء الإسلام والمسلمين، وتشكيك في بعض شعائر الإسلام، كالتعدد والطلاق والحدود والجهاد، وتعددت صور الحرب والعداء على الإسلام ونبيه وكتابه وأهله. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

أيها المسلمون! هذه نماذج مجملة وغيض من فيض للسخرية والاستهزاء الذي تعرض له رسول الله ﷺ.

وإن من صور العداء والنكير على الإسلام وأهله ذلك الدور المشين الذي يتبوأ به منافقوا كل زمان ومكان.

الوقفه الثالثة:

إن مما يؤكد تلاحق هذه الأحداث وسوء هذه الحملات المسعورة، أن هناك اتجاهاً عالمياً مقصوداً يهدف إلى تصعيد الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين بكل الوسائل، والإصرار على تحويل موضوع الكراهية والحق ضد الإسلام إلى ثقافة رابحة في ذهن كل غربي، من خلال المنتجات الإعلامية التي يتم تعليقها في صورة "أفلام

ومسلسلات وبرامج إذاعية ورسوم كاريكاتيرية ولوحات فنية" ومنتجات ثقافية في صورة "مقالات وكتب ودراسات وقصص وروايات ونصوص مدرسية ومناهج تعليمية وكتابات ساقطة"، كلها تعمل على تشويه صورة العرب والمسلمين في عيون الرأي العام الغربي، وكلها تعمل على تعمية بصيرة الغرب وتجهيله عن الإطلاع بوضوح على الإسلام وحضارة العرب والمسلمين، وكلها تصر جاهدة على استمرار تفريخ صورة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، وتصر على قذف منتجاتها الإعلامية والثقافية في سوق الغرب على هيئة قنابل حارقة تنفجر بصورة هستيرية في المخ الغربي؛ لترسخ في داخله صورة هذا العداء من خلال تصوير أن الإسلام دين الإرهاب والعنف.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

عباد الله !

الوقف الرابع: إن محبة الرسول - ﷺ - عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهد في سبيل نصرته دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، وهذا الحب العميق الدقيق ليس حباً ادعائياً، ولا عاطفة مجردة، ولكنه حب برهانه الاتباع والطاعة والانقياد والاستسلام، وأي فصل بين الحب والاتباع فهو انحراف في الفهم وانحراف في المنهج. الحب الصادق يقود إلى الاتباع، والاتباع الصحيح يذكي مشاعر الحب. وقد سبق تفصيل ذلك في الخطبة السابقة، لكن هذه الأحداث تملي علينا تعميق الاتباع والاقتداء .

الوقف الخامسة: إن من الحقيقة التي نؤمن بها أن الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام لا يزيد الدين وأهله إلا صلابة وثباتاً وانتشاراً

وظهوراً، وفي كتاب ربنا: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ، بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ، عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

على أهل الإسلام أن يتحلّوا باليقظة والوعي لما يتعرّض له الإسلام والمسلمون من تهديدات ومخاطر، وأن لا يستجيبوا لاستفزازات المتعصبين، ولتكن مواقفهم محسوبة، مع حُسن تقدير للعواقب، كما يجب التآزر والتعاون في التصدي لهذه الحملات المغرضة الجائرة، وأن يبذلوا كل جهد ممكن وإمكانات متوفرة من أجل دحض هذه الافتراءات وكشف زيفها وكذبها.

الوقفه السادسة: أن هذه الحملات لا تعني أن نغير ديننا إلى دين سباب وشتم، بل ديننا دين العدل والإنصاف ولذا يجب على المسلمين أن يبينوا دينهم كما أنزل على محمد، كما ندعو كل منصف وكل طالب للحقيقة أن يقرأ ديننا من مصادره، وأن يطّلع على سيرة نبينا محمد - ﷺ -، فهي مدوّنة محفوظة تدويناً وتوثيقاً، لا يدانيه توثيق، ولا يقاربه تحقيق. وليعلم طالب الحقيقة ومبتغي الإنصاف أنّ المسلمين يَكْفِيهِمْ فَخْرًا وَشَرَفًا أن دينهم يحرم كل انتقاص أو تكذيب لأيّ نبي من أنبياء الله، ويأمر باتباع ما جاؤوا به، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

بل لقد نُهي المسلمون عن التعرض لأديان المشركين حفاظاً على الحق وحماية لجناح الله عز شأنه، ففي محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

إنَّ المسلمين يحترمون جميع رسل الله، ويوقرون كل أنبياء الله، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، بل الإيمان بالرسول جميعاً ركن من أركان الإيمان قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الوقفه السابعة: إننا- معاشر المسلمين- نعتقد اعتقاداً جازماً أن الله سبحانه سيحامي سُمعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ويصرف عنه أذى الناس وشتهم بكل طريق، حتى في اللفظ. ففي البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: " ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مُذْمَماً، ويلعنون مُذْمَماً، وأنا محمد. " ! ^(١)

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٩) في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٧٣٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فنزّه الله اسمه ونعته عن الأذى، وصرف ذلك إلى من هو مُذمّم، وإن كان المؤذي إنما قصد عينه". قال تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين) [الحجر: ٩٥] وقد سبق ذكر أقوال أهل العلم في ذلك في سياق الخطبة السابقة.

الوقفة الثامنة: إن هذه السخرية والاستخفاف لهي سبب من أسباب النصر، إذ جعلت أمة الإسلام تستيقظ وتتلاحم وتتآزر، وتعرف حقيقة العدو، وكيف يتربص بها وبدينها وقيمها، وستجعل فاصلاً واضحاً بين المسلم الحق وبين المتلبس بالإسلام، والإسلام منه بريء. فالمسلم الحق سيجد نفسه مضطراً للدفاع عن نبيه ورسوله، سيلتحم مع إخوانه في تغيير هذا المنكسر، وردع فاعله بكل وسائل الردع المتاحة له. المسلم الحق سيجهد نفسه للوقوف ضد من حارب الله ورسوله، سيذل كل غال ونفيس في نصرة الإسلام والذود عن رسول الهدى والرحمة. والمتلبس بلباس الإسلام سيخنس خنوس الشيطان، سيجد سبيلاً إلى الصمت والرضا بهذا المنكر، وما قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب بسبب استخفاف أبي جهل برسول الله ﷺ عن هذا ببعيد.

ولذا على كل فرد أن يعمل ما باستطاعته سواء لهذا الحدث أو غيره.

أيها المسلمون!

والوقفة التاسعة: وأن من أهم عوامل نصرة النبي ﷺ العمل على كل ما تكون به العناية بحقوق نبيكم عليكم، وفي الطليعة من ذلك

الاستمساك بسنته، والاهتداء بهديه، والتخلق بأخلاقه، والتحلي
بشمائله، والذود عن كل ذلك بحكمة وعلم وروية وإخلاص.

والصلاة والسلام عليه كما قال سبحانه في الكتاب المبين: ﴿إِنَّ
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[الأحزاب: ٥٦].

وقفات مع أحداث فلسطين

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمده سبحانه حمداً لا يُحَد، وأشكره شكراً لا يُعَد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الأبيض والأحمر والأسود، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وجدّ واجتهد، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، فتقوى الله عروة ما لها انفصام، ونور تستضيء به القلوب والأفهام.

أيها المسلمون! يمر المسلمون في هذه الأيام ببقاع مختلفة من العالم بمحن قاسية، وفتن عارمة، حروب طاحنة تأكل الأخضر واليابس، قتل وتشريد، وإبعاد وطرْد، تجويع وهدم للمساكن، انتهاك للأعراض وتيتيم للأطفال، قتل جماعي وحرَق وتخريب، وصورة هذا واضحة بينة وضوح الشمس في رابعة النهار فيما يفعله اليهود في فلسطين؛ مما لا يبقى معه بيت في العالم لا يرى، ولا يشاهد تلك المآسي العميقة بكل كبر وطغيان، وبكل غرور وعنجهية، وبكل تبلد من قوى العالم، أشجعهم من يدلي بشجب أو تنديد لا يتجاوز حناجرهم.

أيها المسلمون! هذه الأحداث المؤلمة، والجراحات العميقة تجعلنا نتدبر المواقف والعبر غير مكتفين بالأنين من الجراحات، وتجاوب الشجب والاستنكار، فصدى تلك الآلام والصراخات يجب أن ينقلب إلى صور عملية، ومواقف إيجابية بنفوس مؤمنة واثقة.

إن هذه الأحداث المأساوية التي يمر بها المسلمون في فلسطين تبعث في النفس وقفات تدبّر وهمسات اتعاض نسردها في الوقفات الآتية؛ لتجيب على تساؤل كثير من المسلمين إزاء هذه الأحداث.

الوقفة الأولى: إن من سنن الله تعالى في عباده على هذه الأرض أن جعل الصراع بين الحق والباطل صراعاً دائماً، يغلب هذا تارة، وينهزم هذا تارة بحسب عوامل الضعف والقوة لدى أصحاب الحق، وقد أخذ الشيطان العهد على نفسه ليغوين بني آدم، وهو قائد الباطل، وجنوده ما أكثرهم على اختلاف مللهم ومذاهبهم، ولكن أصحاب الحق إذا تمسكوا به، وعضوا عليه بالنواجذ، فلا يمكن للشيطان وأعوانه أن ينتصروا؛ لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً، وما يجري من صراع في العالم بين الحق والباطل جرياً على سنة الله تعالى، وما تغلب الباطل يوماً إلا ضعفاً في أصحاب الحق، لا قوة في الباطل وأهله.

الوقفة الثانية: إن أعداء الإسلام ملة واحدة ضد دين الله تعالى، مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم وأقاليمهم وسياساتهم، ولكنهم يتفاوتون في شراستهم وعداوتهم، وإن من ألد الأعداء وأكثرهم حنقاً

وغيظاً اليهود إخوان القردة والخنازير (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليهود والذين أشركوا). [المائدة : ٨٢].

وواقعهم العملي المعاصر وتاريخهم الأسود شاهد واضح، ودليل قاطع، وأبناء يعرب لا زال منهم من يأمن اليهود، ويعاملهم، ويحسن الظن بهم، حتى امتدت أيدي اليهود إلى زعزعة الأمة في عقائدها، وتشكيكها في مبادئها، وتدميرها في أخلاقها، ولقد بلغ تدميرهم وتدميرهم مبلغاً مخيفاً بأن نبت في بني جلدة المسلمين من يرفض الإسلام ديناً، وينكره منهاجاً تأثراً بهم.

لقد اختل إيمانهم بربهم واهتزت عقائدهم بدينهم، فيهم ملاحظة يعتقدون أنهم أعلم من الله بشؤون خلقه، وأنهم أعدل منه في قسم رزقه.

ولقد كان من هذه النابتة مفكرون وأدباء عبثوا بالأسس الدينية والقيم الأخلاقية، والمقررات التاريخية، سخرُوا الأقلام والإعلام والأفلام لتقويض دعائم الحياة الصالحة والأخلاق الفاضلة، وأورثوا أرضاً فكرية لا معروف فيها ولا منكر، وإنما هي انتهازية وتحلل وجاهلية.

الوقف الثالث: إننا نجافي الطريق، ونخطئ الجادة، ونضل السبيل عندما نعتقد نصح الكفار وإخلاصهم لنا، أو لقضايانا، فلقد علمنا القرآن الكريم عقيدة راسخة أن الكفر والضلال ورؤوسهما اليهود

والنصارى لن يألوا جهداً في سحق المسلمين وإيذائهم وقتلهم، ولن يرضوا منه إلا التبعية والانهازم، والذلة والهوان، والتأخر والتقهقر، ولن يتركوا وسيلة يستطيعونها في إضعاف المسلمين إلا بذلوها فكرية أو تربوية، اجتماعية أو سياسية، عسكرية أو حربية، قال تعالى مقررأ هذا المعنى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾

[البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّى تَبِيعَ بِلَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فهل يعي المخدوعون والمغفلون من أبناء المسلمين هذه الحقيقة القرآنية؟ أما المتأثرون بهم فقد طمس على قلوبهم، فلا يزالون يرون فيهم القدوة والأسوة!

الوقفه الرابعة: لقد قطعت كثير من الشعوب الإسلامية أشواطاً من اللهات وراء الأعداء، أحسنت الظن بهم، وحسبت سرايهم ماءً، حتى إذا جاءته لم تجده شيئاً، بل وجدت سبُعاً فاغراً فاه، ومجرماً أثماً شاهراً سيفه يريد ابتلاعها وهلاكها، خذوا هذا المثال من أمثلة السراب: لا يزال بعض المثقفين والمفكرين يربط ضعف الأمة واضطراب أحوالها بقضية المرأة ومسألة الحجاب، لقد قالوا: - وبئس ما قالوا- إن القوة والمنعة والعلو في العلم، وشؤون الاجتماع لا ينسجم، ولا يتناسب مع فرض الحجاب ومنع الاختلاط. نعم لقد زعموا أن تفسخ المرأة وخلاعتها هو الطريق إلى التقدم والقوة، وهو مظهر العزة، لقد جعلوا من تبرج الجاهلية سبيلاً إلى المعرفة الحققة والعلم النافع. أما السراب

فها هي معظم الشوارع والأسواق في كثير من بلدان بني الإسلام- حاشا هذه البلاد- قد فاضت بمظاهر التبرج والسفور، ودخلت المرأة فيها كل نادٍ، واختلطت بشعالب الرجال وسباعها، فُتنت وفُتنت، وأخذت زيتها وأصباغها، فأَي تقدم جنوا؟ وأي قوة حققوا؟ لقد أشبهوا أعداءهم في المظاهر والقشور! أجسام بادية وأندية بالفسق عامرة! ما زادهم ذلك إلا ضياعاً ومجوناً، وقتلاً للأوقات وهتكاً للأعراض!

ألم يسألوا الفتيات المسلمات المتأدبات المحتشمات؟ هل منعت الحشمة، أو صد الحجاب من تحصيل علم أو إنجاز عمل مناسب يتحقق به غاية شريفة من غير طريق للفتنة والإثارة؟ هل أثقلهن الحجاب عن ممارسة أي نشاط اجتماعي مشروع يراد من ورائه إحقاق حق، أو إبطال باطل، أو معونة ضعيف، أو إسداء معروف، أو نشر بر وإحسان، إن المؤمنات الطاهرات الحافظات المحفوظات يمارسن مسؤولياتهن البيئية والاجتماعية أصنافاً وألواناً لا تضاهيهن تلك المسكينة التي تنفق ساعاتها وأيامها بالنظر إلى عطفيتها، وتتعهد زيتها وأصباغها وبهرجها، ولقد علم المؤمنون والعقلاء أنه لا توجد علاقة بين العمل والقوة والخير والتقدم، وبين التبرج والتعطر والميل والإمالة، فلم أتباع يهود وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين؟!

الوقفه الخامسة: إن الأمة المسلمة وهي تواجه عدواً شرساً وتكالباً متكاتفاً من أعداء كثير في هذه الأيام يجب أن يشعروا جميعاً في أي

بقعة من الأرض بعظم القضية، وثقل الواجب، وكبر المسؤولية، فليست المسؤولية مسؤولية فلسطين، أو الفلسطينيين فحسب، لا شك أنهم في خضم البلاء يصطلون بالنيران المسلطة من اليهود وحلفائهم وأعوانهم، ولكن المسألة أكبر، ففيها مقدسات للمسلمين، وأرض المعراج، وحصن من حصون المسلمين، وليس المراد من أطماع اليهود هم فحسب، بل من النيل إلى الفرات هكذا زعموا.

فالقضية أعمق، والخطر عظيم يحتم على كل فرد ومجتمع وأمة سلسلة التفكير الجاد في معرفة المخرج من تلك القضية أولاً، ثم في فعل ما يجب ثانياً.

فأما المخرج الذي يجب أن يشعر به كل مسلم ومسلمة فإنه الدين، ولا شيء غير الدين، إنه الدين الذي يكسب الأمة تميزاً يمنعها من الذوبان والتميع، يحصنها مما يراد بها، ويحفظها مما يخطط أعداؤها، إنه العقيدة التي تجمع كلمتها، وتحصر عداوتها في أعدائها.

الأمة في عقيدتها تمثل الجسد الواحد والبيان المرصوص، تقرر العقيدة أن الركون إلى الذين ظلموا ليس له نتيجة إلا أن يسام المسلمون سوء العذاب، تمتهن الكرامة، وتداس المهابة، وتسترخص الدماء، ويستباح الحمى، وتنتقص الديار، وتستنزف الأموال ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا نَسَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ (١١٣) [هود: ١١٣] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا

إِذَا أَبْكَدَا ﴿٢٠﴾ [الكهف: ٢٠] والعقيدة تقرر أن الأعداء مستمرّون في القتال والإيذاء سراً وجهاراً وقديماً وحديثاً في صفاقة ظاهرة، أو خطة مأكرة في حروب باردة أو معارك ملتبهة، ليس لهم غاية إلا أن يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴿٢١﴾ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا [البقرة: ٢١٧] فليع كل مسلم ومسلمة هذه الحقائق القرآنية التي تمثل المخرج من قضايا الأمة المؤلمة، سلم الله الأمة من كل عداء وأذى، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه العظيم، وسنة نبيه الكريم، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي توعد بالزيادة لمن شكر، وتفضل بقبول من دعا واستغفر، أحمده سبحانه على فضله المدرار، وأشكره على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير العباد الشاكرين، وسيد الأوابين والمستغفرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وعلى مناهجهم اقتفى وسار.

أما بعد: أيها المسلمون!

الوقف السادسة: في فعل ما يجب على الأفراد والمجتمعات والأمة بأكملها، وفي مقدمة ذلك معرفة أن ما أصيبت به الأمة من ضعف وخور وذلة وانهازم إنما هو بسبب ذنوبها ومعاصيها ومحادثتها لله تعالى، ها هي في كثير من الأقطار الإسلامية تعيش التخبط العقدي، والتوسل بغير الله، ودعاء الأضرحة والأولياء، والركض وراء السحرة والمشعوذين، وها هي تعيش التخبط الاقتصادي من التعامل بالربا رأس البلاء مانع إجابة الدعاء، وغيره من التعاملات المحرمة، وها هو ترك الواجبات الأساسية؛ ضعف في أداء الصلاة، ومنع لأداء الزكاة، فضلاً عن البر والإحسان، وها هو التخبط في الاجتماع والإدارة، واتباع الكفرة في المظهر والمخبر، وانسياق وراء الشهوات والملذات، وتبلد

الإحساس، أين شباب المسلمين وفتياتهم لشعورهم في قضاياهم؟ ها هو التخبط الإعلامي بفنونه ومجونه، وها هم المنهزمون من الأمة يعلنون منابر كثير من الإعلام أجهزة مرئية، وصحافة مقروءة.

إن ما أصاب الأمة بلا شك بسبب ذنوبها ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. إن كل فرد من الأمة مسؤول عن تغيير نفسه، وتغيير بيته، وتغيير مجتمعه وأمته، فإذا تغير الناس وتمسكوا بحبل الله، وعضوا على الدين بالنواجذ انطلقت الأمة وراء النصر المبين بإذن الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وهذا - عباد الله! - يحتم ضرورة المشاركات الأخرى لإخواننا في فلسطين، ومن أهمها الدعاء الصادق، في الصلوات، والخلوات، في الأسفار، وفي أوقات الإجابات بنصرة المسلمين، وانهزام أعدائهم، والمشاركة المادية بكل ما نستطيع، ولو بالقليل، وبالمشورة والرأي، وتوضيح صورة الأعداء، والحث على التمسك بالدين، والنصح والتوجيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هذا شيء من الواجب.

الوقف السابعة: إن الطريق الواضح أمام الموجهين للأعداء هو العمل الجاد بكل صنوفه وأنواعه، والجهاد الذي هو طريق العزة والمنعة، والجذب رفيع راية الدين، لا القوميات، ولا العرقيات، ولا

الوطنيات، العمل والجد للذود عن الحمى والأعراض، والديار والممتلكات، فالجدُّ يورث الجدَّ، والانهازم لا يورث إلا الذلة والهوان، ولكن لنبدأ الجهاد لذواتنا وشخصياتنا، وبيوتنا، ومجتمعنا لتستقيم على طاعة الله تعالى هذا هو الجهاد الحق أولاً.

الوقفه الثامنة: إننا نوقن يقيناً بأن النصر لهذا الدين، وأن الغلبة لأولياء الله تعالى طال الزمن، أو قصر، ولكن للنصر عوامل أهمها نصر الله: ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] والمعركة مع اليهود قائمة، والعاقبة للمتقين، والنصر للمجاهدين، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن الشجر والحجر ينادي المسلم: يا مسلم يا عبدالله وراي يهودي تعال فاقتله^(١)

لكن متى يكون ذلك؟ عندما يكون المسلمون يداً واحدة متمسكين بهدي الله تعالى غير منهزمين في نفوسهم وفي مجتمعاتهم.

(١) ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال "لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود؛ فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود". صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال اليهود (٢٩٢٥) ومسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٩٢٢).

الوقفه التاسعة: يجب على كل مسلم أن يعتز بدينه، ويقوي شعوره وإيمانه بربه، فلا يأس، ولا قنوط ﴿لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْهُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] . وهذا الشعور الفياض يقود إلى الجد والعمل، وبذل الأسباب، فيكون كل مسلم ومسلمة عاملاً من عوامل النصر، ولبنة صالحة للبناء والتشييد، ومفخرة من مفاخر الأمة.

الوقفه العاشرة: إننا نؤمن أن مع العسر يسراً، وأن للكرب نهاية، وأن الظلمات تحمل في أحشائها الفجر المنتظر، إن الدين الذي صلح به الأولون سيصلح به الآخرون، لا محالة، إن الدين الذي ضمن العزة والمنعة لأسلافنا الماضين، لا يزال هو الدين الذي لا يغيره الزمن، ولا تجافيه الفطرة، ولا تنسخه المذاهب.

أيها المسلمون!

آن الأوان ليكشف الناس عن العيون غشاوة الباطل، ويجلوا عن القلوب صدأ الغفلة، فيبصروا الطريق، ويستبينوا الغاية، فيتعاطفوا على البعد، ويتناصروا على القرب، ويتحدوا في موافقتهم مع الأحداث، وقيموا شرع الله، ويصدقوا مع ربهم ومع أنفسهم، وحينئذ يشرق الصباح، وينجلي الظلام، يهدي الله لنوره من يشاء، ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك : ٢٠] .

ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا فقال:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا



أحداث الرس وقفات وتأملات^(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأحمده سبحانه ولي المؤمنين، وأشكره على فضله العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، ﷺ وبارك، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع خطاهم إلى يوم الدين، وأما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، وراقبوه في السر والنجوى تفلحوا في الآخرة والأولى.

أيها المسلمون! لقد سمعتم بل وسمع العالم ما وقع من أحداث أليمة في محافظة الرس في وسط هذا الأسبوع مما قامت به هذه الفئة الباغية، وما خلف من مصائب ومعائب، وقضايا ومشكلات وتفجير وتدمير، وترويع وتفجير، وهلاك للأنفس والمقدرات، وضياع للأموال، وتيتيم للأطفال.

حدث في سلسلة أحداث سابقة، سبق الحديث عنها، تركزت حول أسباب هذه الظاهرة، والوقوف على بعض نقاط العلاج، وفي هذه

(١) أحداث الرس التي وقعت في شهر صفر عام ١٤٢٦هـ. وحصلت مواجهة مع رجال الأمن.

الجمعة المباركة نقف وقفات مع تجدد هذه الأحداث الأليمة، تبصيراً وتذكيراً وتوضيحاً وتحليلاً.

• **الوقف الأول:** لسنا بحاجة على التأكيد على أنها ظاهرة مؤلمة تحز في النفس، وتؤلم الضمير، وتخلف الدمار، وتخرب الديار، وتزرع الخوف، وتروع الصغار والكبار، وتصنع الأموال، وتفتح كثيراً من أبواب الشرور والآثام، وتوسع منافذ دخول الأعداء من الداخل والخارج. وتفتح المجال لكل ناعق ضد هذه البلاد وعقيدتها ومبادئها وعلمائها ونظامها وأهلها.

• **الوقف الثانية:** لا شك أيضاً أن هذه الأحداث لا تخرج عن سنة الابتلاء، تلك السنة العظيمة التي كتبها الله تعالى على عباده المؤمنين في هذه الحياة للاختبار والتمحيص، وبيان الحق من الباطل، جرت هذه السنة على أنبياء الله تعالى ورسله، والخيرة من خلقه، ولا تزال إلى قيام الساعة، وكما هي سنة على الأفراد، فهي سنة على الأمم، ومن أدرك هذه السنة، فتعامل معها بما يقابلها من الضوابط الشرعية سلم ونجى من الولوج فيها، كما سيأتي في وقفة أخرى.

• **الوقف الثالثة:** تلکم هي في حکم هذه الأفعال المشينة، فلا يشك عاقل فضلاً عن طالب علم أو عالم بحرمتها، وأنها جريمة من الجرائم الكبرى بما حملت من جنایات ومخالفات ومنها:

القتل الذي هو أعظم جريمة بعد الشرك بالله سبحانه، فلم يتوعد الله تعالى بالخلود في النار سوى الشرك، والقتل العمد. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١٣) [النساء : ٩٣]، بل وليس هذا الوعيد لقتل النفس المؤمنة، بل كل نفس معصومة قال عليه الصلاة والسلام- فيما رواه البخاري وغيره- (ومن يقتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة) ^(١) ومنها: الإفساد للأموال والممتلكات والمقدرات. وجاء الوعيد الشديد لهذا الإفساد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٥) [البقرة ٢٠٥-٢٠٦] ومنها: الخروج عن الجماعة، والشذوذ عنها، والتعدي بهذا الخروج على سلطة ولي الأمر، وهذا هو البغي والعدوان- قال عليه الصلاة والسلام : (وعليكم بالجماعة، فمن شذ شذ في النار). ^(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام: (من خرج من الجماعة قيّد شبرٍ ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أن يُراجع). ^(٣)

(١) صحيح البخاري في باب برقم (٢٩٩٥) إثم من قتل معاهداً بغير جرم، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٨٦) في سنته، باب من قتل معاهداً.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٠٩) والحاكم برقم (٤٠٣)

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٠٩) والحاكم برقم (٤٠٣)

ويقول أيضاً فيما يرويه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة: (من فارق الجماعة وخرج من الطاعة، فمات فميته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لذي عهد بعهد، فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عُمَيَّة يغضب للعصبة، أو يقاتل للعصبة، أو يدعو إلى العصبة فُقُتِلَ ، فَقَتَلَهُ جاهلية)^(١).

• الوقفة الرابعة: لا شك أن من أهم أسباب ولوج بعض الشباب الأحداث في هذا المسلك المشين المظلم هو الجهل.. الجهل بشريعة الله وأحكامه .. والجهل بالمقاصد الشرعية.. والجهل بمقتضيات العقيدة.. والجهل بما تؤول إليه الأمور وعواقبها.. والجهل بالمصالح العامة والمفاسد.. والجهل بالواقع وأحواله.. والجهل بمصادر التلقي.. والجهل بالدعوة وأهدافها ووسائلها.. والجهل بالمصطلحات والمفاهيم الشرعية، إن الجهل داء خطير، ومرض فتاك ما دخل نفساً إلا أزاغها، ولا داراً إلا أهلكها، ولا مجتمعاً إلا فرقه أحزاباً وأشياءاً.

ومن الأسباب أيضاً: البعد عن العلماء المعروفين المعتبرين، مصادر الهدى، ومصابيح الدجى، حمّلهم الله تعالى أمانة العلم والتبليغ، ففضّلهم على سائر الخلق، ورفعهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٤) ، وأحمد رقم (٧٩٣١).

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الزمر ٩] ، وقال سبحانه: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة ١١].

والعلماء هم ملاذ الأمة في المحن والإحزن الفردية والجماعية، فما
بال هؤلاء الشباب يصدرون عن المجهول، ويتركون المعلوم؟! هذا عين
البعد وعدم التوفيق.

ومن الأسباب أيضاً: اتباع الهوى، والميل مع النزوات
والانفعالات، وما دخل الهوى إلى القلوب إلا أضلها وانحرف بها غلواً
وتقصيراً، ولو سار الناس بأهوائهم لفسد العباد، وخربت البلاد . قال
تعالى: ﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾
[المؤمنون ٧١].

• الوقفة الخامسة: إن مما تضل به الأذهان، ويكون سبباً لهذه
الأفعال المشينة، ما في المجتمع من بعض المخالفات الشرعية التي
يتذرع بها هؤلاء، فيجعلونها سبباً لمواقفهم المتشددة. إن إنكار المنكر
والتعامل معه له ضوابطه ووسائله ومحدودياته، لا بد لمن يغار على
دينه أن يكون على فهم صحيح لها، حتى تأتي تصرفاته ومواقفه متوافقة
مع تلك الضوابط.

والجواب الحق الذي لا مرية فيه أن المستفيد أعداء الإسلام من
الكفار واليهود والمنافقين، وما قصدت هذه البلاد إلا لدينها واستقرارها
ودعوتها، فلنعي هذه الحقيقة، عصمني الله وإياكم ومجتمعنا ومجتمعات

المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأقول قولي هذا، وأستغفر
الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فأما الوقفة السابعة : إن مما يشاد به في هذه الأحداث وقفات رجال الأمن الذين ينام الناس ويسهرون، ويرتاح الناس ويتعبون، ويستريح الناس ويبدلون، فليبشر هؤلاء الذين نذروا حياتهم وجهدهم، وتحملوا المشاق والتعب، وترك الأهل، وتحمل السهر؛ بما يكون من الأجر والثواب عند الله جل وعلا.

فلهم منّا الدعاء، ومن الله الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والخلف الكبير في الدنيا والآخرة، كلل الله جهودهم بالتوفيق، وأخلف عليهم في الدنيا والآخرة، ورحم الله من استشهد منهم، وأصلح لهم نياتهم ومقاصدهم وذرياتهم.

• الوقفة الثامنة: إذا كان على ولاة الأمر حفظهم الله واجب الدفاع الأمني، والحرص، والتخطيط والمتابعة، وعلى رجال الأمن التنفيذ والحماية. فعلى الجميع واجب النصرة، والدعاء، والتعاون معهم في كل ما يؤدي سد منافذ الأعداء، غلواً فكرياً، أو انحرافاً عن الجادة، أو عبثاً أمنياً، والتبليغ عن كل ما يفسد العباد والبلاد، وكما أن الواجب

على عامة الناس، فالواجب والمسؤولية متحتمة على المؤسسات الرسمية كل في تخصصه ومسؤولياته، أجهزة شرعية أو اجتماعية أو غيرها؛ للقيام بواجبها وإصلاح أوضاعها.. وكذا واجب العلماء، والدعاة والمفكرين بالواجب الشرعي، ومما يخص بالذكر واجب الإعلام؛ ليؤدي مهمته بدون انحراف أو تقصير أو غلو. فالجميع يحمل المسؤولية كل بحسب موقعه، ولا يجوز لأحد أن يتنصل من هذه المسؤولية، لأنها تكليف شرعي وضرورة حتمية، لا يتحقق إلا بتماسك المجتمع وسلامته من كل خلل وضعف.

جعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، وصلوا وسلموا على البشير النذير، والسراج المنير، كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الظواهر الكونية وعلاقتها بالعبادة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أتقن كل شيء فهو الحكيم الخبير، أحمدده سبحانه وأثني عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي القدير، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله النذير البشير، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وكل من على نهجه يسير.. أما بعد: عباد الله: اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

أيها المسلمون!

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وسخر لهم ما في السموات والأرض جميعاً منه، فهذا الكون الفسيح الذي أنشأه سبحانه من العدم يدعو الناس إلى التفكير في صنع الله الذي أتقن كل شيء سبحانه، كما أن هذا الكون بكل ما فيه من أرض وسماء وشجر وجبال ودواب وكائنات، يسبح بحمده سبحانه، قال الله جل وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فهذا الكون البديع في صنعه يعبد خالقه وبارئه سبحانه وتعالى، ولا يزيغ عن أمره وتقديره جل وعلا، ويشهد بعجز كل معبود سوى الله

وَبَطْلَانِهِ : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

أيها المسلمون! وعندما تختل حركات هذا الكون في ظاهرها للناس، أو يصيبهم من المحن ما يصيبهم، لا تخرج هذه التغيرات عن سنن الله عز وجل، وحكمته البالغة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

أيها الموحدون! ولقد جاءت سنة نبينا ﷺ بالكثير من الإشارات والمعالم، التي تضيء لنا الطريق، ونستطيع من خلالها أن نتدبر فيما يجري حولنا من أحداث ونوازل، بفهم رباني من لدن الوحي المطهر؛ فنزداد إيماناً و يقيناً بقدرة المولى وحكمته جل وعلا.

ويتلخص هذا الموقف من هذا الكون وظواهره المخيفة في أنها من مخلوقات الله تعالى المسخرة للإنسان، يستفيد منها، ويتأمل فيها من العجائب والأحوال التي تدل على عظمة الخالق جل وعلا.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وعجباً من أولئك الذين يلحدون وينكرون، وعجباً من أولئك الذين لا يتفكرون، وعجباً من أولئك الذين تعجبهم صناعات الإنسان، ولم يتفكروا ساعة في هذا الكون العظيم بما فيه من العجائب التي لا يحيط بها البشر.

ومن موقف المسلم أن يعزو لقدرة الله تعالى كل شيء في الكون، من رياح وأمطار، وفيضانات وثلوج، وزلازل وبراكين، وكسوف وخسوف، وسقوط نجوم وغيرها.

ومن موقفه أن يوقن أن هذه الظواهر عقوبة للكافرين والعصاة والمذنبين، ونذر، وعبرة للمؤمنين، فقوم نوح أهلكوا بالغرق، وعاد أهلكوا بالريح، وئمود بالصيحة، ولوط قلبت ديارهم عليها سافلها وهم فيها.

سبحانك ربي ما أعظمك.. سبحانك ربي ما أوسع حلمك! أيها المسلمون! كان النبي ﷺ يتغير وجهه، ويتأثر عند رؤية هذه الظواهر الكونية حتى تزول، ويفزع إلى الدعاء والعبادة، جاء في صحيح البخاري، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: "يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ غُذِب قوم بالريح، وقد رأى قوم الريح، فقالوا: هذا عارض ممطرنا" (١).

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٢٩) في صحيحه، في تفسير القرآن، باب قوله: (فلما رأوه عارضاً مستقيل أوديتهم). عن عائشة رضي الله عنها.

ومسلم برقم (١٤٩٧). في صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح.

فهذا خاتم المرسلين الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتغير وجهه إذا رأى الغيم، حتى يتبين له هل هو رحمة أو عذاب؟ وما ذاك إلا من خشية الله عز وجل.

فإذا جاء الخير وسقى الله عباده الغيث استبشر نبي الهدى، ودعا ربه بما يصلح للناس معاشهم، روى البخاري، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: "اللهم صيباً نافعاً" (١).

وهكذا حاله ﷺ مع كل ظاهرة في الكون، ومن ذلك ما رواه الترمذي، وأحمد، وغيرهما، عن طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله" (٢).

وفي صحيح مسلم، عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال:

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٧٤) في كتاب الجمعة، باب ما يقال إذا مطرت، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٣) في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ. باب ما يقول عند رؤية الهلال، عن طلحة بن عبيدالله. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أحمد في مسنده برقم (١٣٩٧) في مسند العشرة المبشرين بالجنة، من حديث أبي محمد طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه. قال الألباني: صحيح.

"النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" ^(١).

عباد الله !

وقد خالف أقوام سبيل الهدى الإيماني المحمدي في تأمل ظواهر الكون، فعمدوا إلى علوم شيطانية ما أنزل الله بها من سلطان، فضلوا وأضلوا، وقد حذر نبي الهدى ﷺ من هؤلاء الضالين، ومن أعمالهم الباطلة، فروى الطبراني، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها: النجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف السلطان" ^(٢)، وروى أحمد، وأبو داود، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "من اقتبس علماً من

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه.. برقم (٩٦٢٧) عن أبي بردة رضي الله عنه، وأحمد في مسنده برقم (١٩٥٨٤) في أول مسند الكوفيين، من حديث أبي بردة عن أبي موسى الأشعري.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٩٠٧) وابن ماجه رقم (٣٧٢٦) وأحمد برقم (٢٠٠٠) والطبراني برقم (١١١٤)

النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" ^(١) إلى غيرها من الأحاديث العديدة التي تحذر من دجل هؤلاء المبطلين وأعمالهم.

أيها المسلمون! ودون ذلك الضلال على سبيل الحق هناك أقوام يدفعهم الجهل إلى أقوال وأعمال وردود أفعال لا تليق بالمؤمن الموصول قلبه بالمولى في كل أحواله، ومن ذلك ما رواه أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه من نهى رسول الله ﷺ عن سب الرياح، في قوله: " لا تسبوا الرياح فإنها تجيء بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا من شرها". ^(٢)

إلى غيره من الأحاديث التي صحت عنه ﷺ، في النهي عن سب الدهر والليل والنهار وغير ذلك مما ينبغي لكل مسلم رشيد أن يتحفظ منه ويصون عنه لسانه أدباً مع المولى عز وجل، واتباعاً لسنة نبيه ﷺ. وهكذا تضل العقول، وتضطرب الأفهام إذا ابتعدت عن صراط الحق المستقيم عندما يشتد الهول وتقع الكوارث والحوادث المؤلمة، إلا من رحم الله وبصره وهداه بإيمانه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٦٩٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وأبو داود في سننه في كتاب الطب، باب في النجوم، برقم (٣٤٠٦)
 (٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٩٢٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وبرقم (٢٠٢١٥) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وإن لكل خلف سلفاً، فالذين يفسرون الحوادث والمحن بأنها تغيرات طبيعية، أو أنها تقلبات بيئية، ونحوها من التفسيرات السطحية الهشة البعيدة عن الفهم الرباني القرآني لما يجري في الكون.. هؤلاء إنما يجددون أقوال سلفهم ممن كانوا يعزون الظواهر الكونية لمسبباتها الظاهرة دون وصلها بخالقها وخالق مسبباتها والناس أجمعين سبحانه وتعالى، ففي الحديث المتفق عليه، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا، قال ﷺ: "هل تدرّون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب".^(١)

عباد الله !

هكذا يتفاوت الناس ويتفاضلون في إيمانهم بالمولى عز وجل، ولا عجب في ذلك، فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يتفاوت، فهو يزيد وينقص، ولا شك في ضعف إيمان من يغفل عن تدبيره وحكمته سبحانه، فينسب الظواهر إلى مسبباتها السطحية دون

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم (٨٠١).

ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم (١٠٤) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

إرجاعها إلى سننه سبحانه وتقديره، هذا إن كان عن غفلة وخطأ في العبارة دون اعتقاد.

أما من أطلق ذلك، ونفى صلة حوادث الكون بالخالق الجليل جل وعلا؛ فهؤلاء هم الضالون الملحدون، الذين اتخذوا من قوانين الطبيعة المزعومة إلهاً يعبد، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفني وإياكم بسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى
آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

عباد الله !

إن من تمام التوحيد ورسوخه في القلوب أن يعتقد المسلم أن
آيات الله في كونه وتصريفه لها هي تخويف وعبرة ومجال للعبادة، ففي
الحديث المتفق عليه - في الكسوف - أنه ﷺ قال: " إن الشمس والقمر
لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف
الله بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك، فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم"^(١).

فهذه المخلوقات قاطبة مسخرة بأمره جل وعلا، يفعل بها ما
يشاء سبحانه، تسبح بحمده، وتثني عليه، وتعبده، وتسجد له وحده،
روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين غربت
الشمس: " تدري أين تذهب؟ " قلت: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ:

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٨٣) في كتاب الجمعة، في باب الصلاة في كسوف الشمس، عن
أبي مسعود رضي الله عنه، وبرقم (١٠٤٠) عن أبي بكر رضي الله عنه وبرقم (٩٨٥) عن
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

ومسلم وبرقم (١٥٢٢) في كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف، برقم (١٥١٦)
عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، من رواية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

"فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها: يقال لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) ﴿١﴾". [يس: ٣٨].

أيها المؤمنون:

لقد هز العديد من الكوارث والزلازل وغيرها من المحن العديد من بلدان العالم في الآونة الأخيرة، مثل كارثة تسونامي وإعصار كاترينا وغيرها، وهاج الناس وماجوا بين ردود فعل من هنا وهناك، وخرجت وسائل الإعلام الغربية بتحليلات وآراء لمتخصصين لا تتضمن أية إشارة إلى قدرة الله وسننه الكونية.

عباد الله !

وإذا كان هذا هو حال البائسين المعرضين عن منهج الله وفهم سننه في الكون، فإن المؤمنين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ لا تغنيهم هذه التحليلات والتنظيرات عن الفهم الرباني في ضوء الوحي المطهر؛ فلهم فيها عبرة وموعظة وذكرى، قال الله جل وعلا: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (١١٦) ﴿١﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٦٠) في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(التوبة: ١٢٦) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۖ ﴾ [ق: ٣٧].
عباد الله !

نعم.. هذه هي الثمرة الحقيقية للتأمل في الأنفس والآفاق وتصريف المولى الحكيم الخبير للكون والخلق.. تفكر في حكمة المولى، واتعاض واعتبار بما يجري في كونه بخلقه وأمره ونكاله بمن طغوا في البلاد وأظهروا فيها الفساد.. كل ذلك يحدث في القلوب توبة وإنابة إلى الله تعالى.

فلنحرص على تدبر كتاب ربنا وسنة نبينا؛ حتى لا تميد بنا الأهواء والآراء، وحتى لا تستفزنا كل نازلة حلت بالناس ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] ، وبسنة المصطفى مهتدين، إيماناً و يقيناً ، وتصديقاً وتسليماً، وذكرأ وشكراً، ودعاءً وتضرعاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نَفَا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيْنٍ فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُفِخُ فِي الْمَوْتِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ٧٧ ﴾

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَأْتِيَنَّ رَبَّهُ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف : ٥٤-٥٨].

أيها المسلمون! إن سنن الله تعالى جارية في هذا الكون، لا نسب لها ولا حسب، ولا جاه ولا شفاعة، ولا حفظ ولا نجاة من تلك الظواهر إلا بطاعة الله وعبادته واللجوء إليه، والعودة إليه سبحانه عودة صادقة تبدأ بالنفس والأهل، ثم الدعوة إليه جل وعلا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى أحمد، والترمذي، عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم" ^(١) وفي الحديث المتفق عليه عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها - قيل: أنهلك وفيما الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث" ^(٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٢١٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي برقم (٢٠٩٥) في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن حذيفة. وقال: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٩٦٠) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل. ثم صلوا وسلموا على
البشير النذير كما أمركم المولى سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

وقفات مع نزول الأسهم^(١) وكثرة الغبار

الحمد لله الواحد القهار، خلق السموات والأرض والجبال والبحار، وصرّفها بقدرته بما يشاء ويختار، من رزق وخير وأمطار، ونُذُرٍ ومحنٍ للعبطة والاعتبار ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤] وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له العزيز الغفار، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد: عباد الله! اتقوا الله ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

أيها المسلمون!

لقد بعث الله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، ودينه خاتم الأديان وأكملها وأتمها، قال الله عز وجل: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [آل عمران: ١٩] ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

ولقد أحاطت شرائع الإسلام بكل ما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم من الأحكام، قال جل وعلا : ﴿وَرَزَّأْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) التي وقعت عام ١٤٢٦هـ.

تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿ [النحل: ٨٩] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، وقال عز من قائل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وبعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، بشيراً للمؤمنين بالرضوان وجنات النعيم، ونذيراً للمعرضين عن الحق والهدى بالخسران ونار الجحيم.

قال المولى جل وعلا: ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجِرمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ ﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

أيها المؤمنون! وكما بين الله تعالى الطريقتين؛ فقد حذر من سلك طريق الغواية، وإذا بدا الانحراف وانتشر في المجتمع وغفل الناس؛ يرسل الله تعالى لهم نذراً ، ونُذر الله تعالى لمن تنكب صراطه المستقيم، كثيرة متنوعة، يرسل الله منها ما شاء، حيثما شاء، على ما شاء.

نُذِرُ من الأرض، ونُذر من البحار، ونُذر من السماء، يبعثها الله تعالى نذيراً للعباد؛ وجزاء لما يقع في الأرض من الفساد، من براكين وأعاصير، وزلازل وفيضانات، وتخويف وإرهاب، ومحن ومجاعات.

قال الله جل وعلا: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ ﴾ [الروم: ٤١]. وقال سبحانه :

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٢٦) [التوبة : ١٢٦] .

أيها المسلمون!

ولقد مرت وتمر بنا بعض هذه النذر، ومما مرّ في الأسابيع الماضية: حدثان جديران بالوقوف معهما وتأملهما في ضوء سنن الله تعالى، هذان الحدثان هما: كارثة نزول الأسهم، التي شغلت الناس وصارت حديث مجالسهم، وكثرة الغبار مع قلة الأمطار.

فأما كارثة نزول الأسهم، فإن من يتأمل فيها يرى عجباً، أناس علقوا آمالهم ورجاءهم في أسهم تنخفض وترتفع، فتارة يخسر المرء وتارة ينتفع، وتارة يحجم لضعف السوق وتارة يندفع، حتى إذا وقعت المحنة العامة، وفقد كثيرون كثيراً من أموالهم إذا بهم يفقدون معها صوابهم ورشدهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله !

إنها محنة بحق لقلوب العباد، واختبار لهم في مستويات التوكل واليقين برب العالمين، الذي قال في كتابه الكريم : ﴿وَفِي آيَاتِهِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) [الذاريات : ٢٢] .

لكن أقواماً أسرفوا على أنفسهم فعلقوا آمانيهم بأسهم لا تضر ولا تنفع إلا بإذن الرزاق ذي القوة المتين؛ فذاقوا طعم الحسرات وعلتهم الكآبة حتى كأنهم ثكلوا في أحب الناس إليهم، وصدق المولى

الجليل ﴿وَتُحْيَوْنَ الْمَالَ حَيًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر: ٢٠] ، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ
لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨].

أيها المؤمنون: لم يحرم الإسلام التجارة والسعي في طلب
المعاش، ولا حجر على الناس موارد الرزق الحلال، لكن أن يصل
الأمر إلى ما يشبه العبودية لهذا المال؛ فهذا سبيل البوار، وبئس المآل،
وصدق رسول الهدى ﷺ: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد
الخميسة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك
فلا انتقش".^(١)

عباد الله!

ولو كان الأمر يقف عند صدمة الحزن العنيفة لنزول الأسهم
وفقد الأموال، لكانت المصيبة واحدة، لكن المصائب كُثِر في هذه
المحنة، فتبدأ من الأساس ببناء على شفا جرف هار، من الركض وراء
الكسب السريع دون التحري في اختيار الشركات والمؤسسات والبنوك
والتأكد من سلامتها من الشبهات. ثم تأخذ أصحاب الأسهم بعد ذلك -
إلا من رحم الله- دوامة متلاطمة الأمواج من اللهات والمتابعة واللهفة

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٧٣) في الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله،
عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وتحرق القلب؛ حتى يلهيهم ذلك عن ذكر الله وإقام الصلاة كما أمر الله، وعن بيوتهم ورعيّتهم التي هم مسؤولون عنها يوم الحساب. بل يتمادى الحال ببعضهم؛ فلا يكاد يذكر الله حقاً في ماله، أو يخرج زكاته التي أمره بها، من فرط الغفلة والشغف بالمال.

فإذا نوصح أحدهم تعلق بالانشغال، وأنه رجل أعمال، فبئست الأعمال تلك التي تشغل الإنسان عما يُسأل عنه بين يدي ربه، فهل سيمكنه وقتها ذكر هذه الأعذار؟! وبئست الأموال، وحرّي ألا يُبارك فيها تلك التي تحول بين امرئ وبين مرضاة الله وتقواه.

وهل يسر أحداً من هؤلاء أن يحشر مع أرباب الأموال الذين صدّتهم عن ذكر الله؛ وضربت بهم الأمثال، مثل قارون، وأبي بن خلف؟!

أيها المؤمنون! إن المحاذير التي شابت الانفتاح الأخير في ميدان الأسهم كثيرة، ينبغي لمن خشي الله تعالى واتقاه أن يقف عليها ليحذرها ويحذر منها، فمنها:

الوقوع في الربا والشبهات وعدم تحري الحلال، بعدم التدقيق في تحديد الشركات المشهود لها بالسلامة من أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

ومنها: المجازفة والمخاطرة في ميدان لا تؤمن عواقبه؛ بسبب الطمع في الثراء السريع، فتجد من الناس من وضع أمواله كلها وقوت

عياله في الأسهم، بلا حيلة ولا حذر، بل وصل الحال إلى من باع بيته أو مصنعه أو متجره؛ فعطلت مصالح، وقطعت علائق، وحديث ولا حرج عن أمور يندى لها الجبين. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وقال رسول الهدى ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"^(١) ومن المحاذير: إهمال الأعمال والعيال، وتضييع الأمانات والمسؤوليات؛ بسبب الانشغال بهذه الأسهم، ليلاً ونهاراً. فذلكم - يا عباد الله - حصاد العبث بهذه النعمة التي سخرها الله لعباده، فأبى أكثر الناس إلا جحدها بتصرفاتهم الخاطئة وجشع النفوس ونهمها إلى الاستزادة منها، وقد قال رسول الله ﷺ: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"^(٢).

(١) وأخرجه أبو داود برقم (١٤٤٢) في سننه في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. أخرجه أحمد في مسنده برقم (٦٢٠٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٦) في جامعه، في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، عن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه. وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد برقم (١٥٢٢٤) في مسنده من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه.

فاتقوا الله - عباد الله !- واحذروا هذه الفتن، واتقوا هذه المحاذير، واعلموا أن الله تعالى سيسأل كل امرئ عن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ فقد صح عن أبي ברزة الأسلمي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه".^(١)

أيها المسلمون! أما وقد وقعت الكارثة وعمت كثيراً من الناس، فلا يكفي التلاوم، ووصف الحال المشين، ولكن إذا أحدث الله تعالى هذه الظواهر العامة أن يقف الفرد مع نفسه، والمجتمع، والدولة؛ للتبصر في مواقع الخلل، ومعالجتها المعالجة الشرعية الحقة الصريحة التي تنقذ من الهلاك، في الدنيا والآخرة.

وإن من المؤسف - والحديث حديث مصارحة ومكاشفة- أن المعالجات كلها ناقصة وقاصرة، بل ولم تتعرض إلى مكن الداء وموضع المرض. فتارة تسمع همسات بأن السبب دخول فلان وخروج علان.. لكنك لا تسمع أن من أهم الأسباب: التعامل بالربا، وأكل أموال

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤١) في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

الناس بالباطل، والوقوع في الشبهات، وتضييع الصلوات، وإهمال الأسر والبيوتات، وعدم إخراج الزكوات، وغيرها من الآثام والآفات.

هذا- أيها المسلمون- هو السبب الحقيقي الذي يجب أن يكون محل النظر وموضع الداء؛ ليعالج بحق وصدق، ومصارحة ومناصحة، ومكاشفة مع النفس والمجتمع والدولة.

أيها المسلمون! والمحنة الأخرى التي أثرت على البلاد والعباد: كثرة الغبار الذي ملأ الآفاق بصورة مفاجئة لم يعهد لها مثيل منذ زمن بعيد.

فقليل من الناس من وقف مع هذه المحنة وقفة تأمل، برّد الأمور إلى مسبباتها، وتذكر سنن الله وأيامه في الناس والأمم؛ فما هذه المحن التي تنزل بالناس إلا جزاء ما جنت أيديهم من المعاصي، وموعظة للمتقين، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : ٤١].

ولقد كان رسولكم ﷺ يتغير وجهه ويتأثر عند رؤية هذه الظواهر حتى تزول، ويفزع إلى الدعاء والعبادة، جاء في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأته عرف في وجهك

الكراهية، فقال: " يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ غُذِب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا" ^(١) .

فهذا خاتم المرسلين الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتغير وجهه إذا رأى تغيراً في الأجواء؛ من خشية الله عز وجل. فحري بمن يتبع هديه وسنته، أن يتوقف مع هذه التغيرات الطارئة التي عمت الأجواء؛ فيفزع إلى الله تعالى ويحث إخوانه المسلمين على الذكر والدعاء، والتوبة من الذنوب والمعاصي؛ عسى الله - بمنه وكرمه - أن يرفع البأس ويكشف الضر عن البلاد والعباد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٥٤) في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم) .

ومسلم برقم (١٤٩٧) في صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح، عن عائشة رضي الله عنها.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كفى به بذنوب عباده خبيراً بصيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله!

إن نجاة الأمة وسلامتها في أن نعود جميعاً - فرادى وجماعات، رعاة ورعية - إلى نفوسنا باللوم على ما فرطنا في جنب الله، لوماً إيجابياً يدفع إلى تدارك الخلل والقصور والتوبة من الذنوب، والقيام بما حملنا من أمانة ومسؤولية ؛ حتى نكون أهلاً للنصر والأمن من المحن والكوارث، قال الله جل وعلا : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١١) ﴿ [الأعراف: ٩٦]

وقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥٥) ﴿ [النور: ٥٥].

أيها المسلمون! هذا ما يريده الله عز وجل من عباده، تقواه وطاعته، وهذا جزاؤه لمن لبي وأطاع؛ بركات وأمن وعز في الدنيا، وجنة في الآخرة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أيها المسلمون! تلك المعالجة العامة، أما على التفصيل: فأولها: الرجوع إلى النفس، والتوبة مما وقع من الإنسان من الذنوب والمعاصي. فلا يقول امرؤ: الدولة هي المسؤولة، ويجب أن يتدخل المسؤولون؛ فعلى الفرد أن يتوب من الربا، نعم.. من الربا، ومن الشبهات التي تتدرج به إلى الحرام، وأن يقلع عنها. ويجب أن تتوب الشركات والمؤسسات من جميع الحيل كحيلة ما يسمى بـ: "المختلطة" و "التعامل بالتورق" على الورق دون مراقبة شرعية، وغيرها.

كما يجب أن تتوب المؤسسات التي تقرر تلك الأنظمة الربوية، وأن تكون أولى المعالجات من قبل الدولة على هذا الأمر. فوالله مهما جاءت المعالجات دون التوبة والندم من الجميع؛ فلن تكون إلا كالحبوب المسكنة للألم، ولا يلبث إلا وأن يعود.

وثانيها: القيام بحق المال من الزكاة الواجبة والصدقات المستحبة، فكما يجب على الفرد إخراج الزكاة فعلى مصلحة الزكاة

والدخل أن تدقق على تلك الشركات والبنوك والمؤسسات المتلاعبة التي خدعت أكثر الناس.

قال الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوَّى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة ٣٤ - ٣٥].

وصح فيما رواه الطبراني، عن ابن عمر رضي الله عنهما قول رسول الله ﷺ: "لم يمنع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا".^(١)

وثالثها : مراقبة الله تعالى في جميع شؤوننا، وإشاعة مبدأ التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الأفراد، وتشجيع الهيئات الرسمية، والشد على يديها، والتعاون معها، والدعاء لها بالعون والتسديد، وكبح الشائئين والساخرين منهم من أصحاب الهوى والفسق، وضعاف الإيمان، أو أصحاب النفاق، فلا يبغض هذا المبدأ

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٠٩) في سننه في الفتن، باب العقوبات عن عبدالله بن عمر بلفظ : خمس إذا ابتليت بهن ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء.. الحديث. وأخرجه الطبراني برقم (١٣٦١٩) في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الذي جعل الله تعالى خيرية الأمة به إلا ضعيف الإيمان، أو ضعيف العقل، أو من دخل النفاق قلبه.

ورابعها: الأخذ على أيدي العابثين بالدين، أو بالأنفس، أو بالأعراض، أو بالأموال. وإن الواجب في هذا الأمر كبير، وفي هذا الوقت أكبر، إذ وصل الأمر إلى التساهل المقيت في الأعراض؛ فهذا الإعلام - مرثيه ومسموعه ومكتوبه - يزداد عبثه في الدين والأعراض، وأصبح ما كان محرماً بالأمس حلالاً له اليوم. فليستق الله تعالى من ولاهم الله تعالى مسؤولية الإعلام.

أيها المسلمون!

إن الأمر جد خطير، إذا لم يُتدارك الأمر بالمعالجات الشرعية، وكل واحد على ثغره، وهو مسؤول أمام الله تعالى.

فالفرد مسؤول، وأيم الله، والمجتمع بمختلف شرائحه، من علماء ودعاة وكُتّاب ووجهاء ورجال أعمال ومؤسسات وشركات، والدولة مسؤولة "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".^(١)

(١) أخرجه البخاري، برقم (٨٤٤) في صحيحه في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومسلم برقم (٣٤٠٨) في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

فالله الله بالقيام بالمسؤولية قبل فوات الأوان.. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧].
 وصلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا بقوله :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا ﴾.

فتح مكة

الخطبة الأولى

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون! اتقوا الله حق تقاته، واعبدوه حق عبادته.

عباد الله! في شهر رمضان المبارك، وفي العشر الفاضلة في السنة الثامنة من الهجرة فتح الله على رسولنا محمد ﷺ الفتح الأعظم؛ ألا وهو فتح مكة الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح العظيم الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۚ وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَبِهِدْيِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح ١-٢] فارتفعت راية الحق بهذا الفتح، وصارت مكة بلداً إسلامياً، حل فيه التوحيد مكان

الشرك، والإيمان محل الكفر، وأعلنت فيه عبادة الواحد القهار، وكسرت فيه أوثان الشرك فما لها بعد ذلك من قرار.

وكان سبب هذا الفتح أن قريشاً نقضت العهد الذي كان بينها وبين رسول الله ﷺ في صلح الحديبية.

فوقعت الخيانة الكبرى من كفار قريش، ونكثت الميثاق، ونقضت العهد، فتهياً رسول الله ﷺ بجيش عرمرم من المدينة وقال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها".^(١)

وكتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بمسير رسول الله ﷺ إليهم، وأعطاه امرأة على جُعل - فأتى رسول الله الخبر من السماء - فأرسل علياً والمقداد والزبير، وقال: انطلقوا إلى روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب، فخذوه منها، فأتوها وطلبوا منها الكتاب فقالت: ما معي كتاب. فقالوا: لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فأخرجته من عقاصها، فأتوا به رسول الله ﷺ فقال: ما هذا يا حاطب؟

فاعتذر بأن له في مكة أهلاً وعشيرة وولداً، وليست له فيهم قرابة يحمونهم لأجلها فأراد أن يتخذ عندهم يداً يحمون بها أهله، ولم

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١٤/٤ وطبقات ابن سعد ١٣٤/٢ و ٢٧١/٤، ٢٧٩، ٣٢٢، ٣٤٦، ودلائل النبوة للبيهقي ٧/٥، والسيرة الحلبية ٧٤/٣.

يفعله ارتداداً عن الإسلام ولا رضئ بالكفر فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله. فقال ﷺ: "إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" فذرفت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. ^(١)

عباد الله ! لنقف ونتأمل!! فما كان حاطب منافقاً ولا ضعيف الإيمان، ولكن في النفس البشرية جوانب ضعف تطفئ عليها في بعض الأحيان، وتهوي بها إلى ما لا ترضاه لنفسها، وكل بني آدم خطاء، وما كان هذا الضعف الإنساني ليخفى على صاحب القلب الكبير، والقوي الأمين، صاحب الخلق العظيم.

فلا تعجب إذا كان الرسول صدقةً فيما قال، ورحم ضعفه، ونافح عنه، والقوي حقاً هو الذي يرحم الضعفاء، والعظيم حقاً هو الذي يلتمس المعاذير لمن يستنزلهم الشيطان في غفوة من صدق الإيمان ووازع الضمير.

وهكذا أخذ الله العيون، فلم يبلغ إلى قريش أي خبر من أخبار تجهز المسلمين وتهيئتهم للزحف والقتال.

وفي العاشر من رمضان سنة ثمان من الهجرة غادر رسول الله ﷺ المدينة، متجهاً إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين، واستعمل

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧) و (٤٢٧٤) و (٤٩٠٥) و (٦٩٣٣). ومسلم برقم (٦٧٤٨).

على المدينة أبا ذر الغفاري. ولما بلغ كديداً - وهو ماء بين عسفان وقديد - ورأى أن الصوم شق على الناس أفطر، وأمر الناس بالإفطار، ثم واصل سيره حتى نزل بمكان قريب من مكة يقال له : (مَرُّ الظُّهْرَانِ) ويسمى الآن وادي فاطمة نزله عشاء، وأمر الجيش بإيقاد النار، فأوقدوا عشرة آلاف نار كل على حدة، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وخرج أبو سفيان خائفاً يترقب، ولا يعلم شيئاً، ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فلما رأى النيران قال: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً قال بديل: هذه والله ! خزاعة، قال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

وكان العباس - رضي الله عنه - على بغلة رسول الله ﷺ فلما سمع الصوت عرفه، فقال: أبا حنظلة؟ فقال أبو سفيان - وقد عرف العباس - أبا الفضل؟ قال: نعم، قال: مالك؟ فذاك أبي وأمي. قال: هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله.

قال: فما الحيلة؟ فذاك أبي وأمي، قال: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك، فركب ودخلوا على رسول الله ﷺ، فقال له عليه الصلاة والسلام: "ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله "

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك؟ لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لأغنى عني شيئاً بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك؟ أما هذه فإن في النفس منها شيء. فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فأسلم وشهد شهادة الحق.

إنه موقف عظيم من هذا الرسول الكريم إمام الأمة، وقدوة الناس، يدخل مكة فاتحاً مجاهداً مقاتلاً ثم يأتيه عدوه بين يديه والفرصة سانحة لأن يقضي عليه؛ ولكنه الدين والمعاملة، والدعوة إلى الله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] فهدى به الأمة وكشف به الغمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجمعين.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع وهو القوي العزيز، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله واصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: عباد الله!

وتابع الرسول ومن معه المسير حتى دخل مكة، ودخل المسجد الحرام وحوله المهاجرون والأنصار، فاستلم الحجر الأسود، وطاف بالبيت وهو على الراحلة وفي يده قوس وحول البيت وبه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعن الأصنام التي حول الكعبة بالقوس ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) [الإسراء: ٨١] ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدْعَى الْبَاطِلُ وَمَا يُعْبَدُ﴾ (١١) [سبأ: ٤٩] والأصنام تتساقط على وجوهها.

ودخل الكعبة ومعه بلال وصلى فيها ركعتين، ثم وقف على باب الكعبة وقد تكاثر الناس في المسجد وأوجس المشركون خيفة، وكادت تغص حلوقهم بقلوبهم من شدة الخوف، وصارت أبصارهم مشدودة إلى رسول الله ﷺ.

ولكن المظلوم المنتصر أبى إلا أن يضرب مثلاً نادراً في العفو
فقام خطيباً فقال: "يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم؟" قالوا: خيراً،
أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فأني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته:
(لا تثريب عليكم اليوم): " [يوسف : ٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء".

ألا ما أجمل العفو عند المقدرة، وما أعظم النفوس التي تسمو
على الأحقاد وعلى الانتقام، بل تسمو على أن تقابل السيئة بالسيئة،
ولكن تعفو وتصفح، والعفو عمن؟ عن قوم طالما عذبوه وأصحابه،
وهموا بقتله مراراً، وأخرجوه وأتباعه من ديارهم وأهليهم وأموالهم،
ولم ينفكوا عن محاربته والكيد له بعد الهجرة.

عباد الله!

وهكذا دخل رسول الله ﷺ وأصحابه فاتحين منتصرين فرحين
بوعده الله لهم، فلم يقف رسول الله ﷺ ولا أصحابه عن الجهاد وبذل النفس
والمال في الدعوة إلى الله؛ بل كان الفأل شعارهم، والوعد بنصر الله
حديثهم، يتخطون بذلك ظروف الزمن الحاضرة، وينظرون بنور الله إلى
نصره في الأيام المقبلة.

إن نبينا محمداً ﷺ لما بُعث في مكة لم يكن طريقه محفوظاً
بالورود والرياحين، ولم تُسلم العرب لمحمد ﷺ، وهم أقرب الناس
إليه بل آذوه واتهموه، وأخرجوه وحاربوه، وعاش المؤمنون معه في
مكة فترة عصيبة، واستشهد بعضهم تحت وطأة التعذيب، وفرّ بعضهم

بدينه تاركاً أهله ووطنه وأمواله، ومع هذا كله كان رسولنا محمد ﷺ واثقاً بنصر ربه، متفائلاً بتحقيق وعده، ودونكم حديث البخاري لتأمل ما فيه من بلاء ومحن، وما يحمله من بشرى وتفاؤل ونهي عن الاستعجال في النتائج.

يقول خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشُقُّ بَاثْنَيْنِ وَمَا يَصْده ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمْشِطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصْده ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ".^(١)

هكذا رسول الله ﷺ يَعِدُّ أَصْحَابَهُ بِالنَّصْرِ وَالْغَلْبَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَلَحْ فِي الْأَفْقِ بَوَادِرُ نَصْرٍ حِينَهَا، لَكِنَّهُ الْأَمَلُ وَالثِّقَةُ بِنَصْرِهِ يَرَاهَا عَيْنُ الْيَقِينِ. فَإِنْ قُلْتَ يَا أَخَا الْإِسْلَامِ: ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُؤَيَّدُ بِوَحْيِهِ!! قِيلَ لَكَ: ذَلِكَ حَقٌّ، وَلَكِنَّا مَكْلُفُونَ بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِ ﷺ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿[الأحزاب: ٢١]﴾.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٧٩٢) في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل..

وحفظ الله ومعيته، والثقة بنصره، وتمايم التوكل عليه ليست خاصة بالمرسلين فحسب ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨) [النحل: ١٢٨] ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥١) [غافر: ٥١] .

ثم صلوا وسلموا عليه كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل حيث قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

مع قصة يوسف عليه السلام -٦-

الخطبة الأولى

الحمد لله معز من أطاعه ومذل من عصاه، أحمدده سبحانه على جزيل نعمه وما أولاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في علاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبيه ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا أن أقدامكم على النار لا تقوى.

أما بعد: وبعدما فوجيء إخوة يوسف بسرقة أخيه لصواع الملك، لم يعرفوا ماذا يقولون لعزيز مصر، فاتهموا أخاً له آخر بالسرقة، وفوجيء يوسف بهذا الاتهام، ومع هذا ضبط نفسه أمامهم قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٧]، وعرف الحاضرون أن الأخ الصغير قد سرق صواع الملك، وعرف الحاضرون حكم يوسف والعقوبة التي ستقع عليه؛ سيأخذه عزيز مصر عبداً عنده مقابل ذلك المتاع المسروق، عند ذلك: تذكر الإخوة ما جرى بينهم وبين أبيهم، والموثق الذي أعطوه على أن يعودوا به، فحاولوا محاولة أخيرة مع عزيز مصر: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا

فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ [يوسف: ٧٨] لكن يوسف رفض هذا العرض قائلاً: ﴿ قَالَ مَكَادُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَمِنًا عَنْدَهُ ۖ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوا لَطَلِمُوا ﴾ [يوسف: ٧٩].

عباد الله!

وعندما ينس الإخوة من استرجاع أخيه تركوا يوسف، وغادروا قصره، وتشاوروا ماذا يفعلون؟ ﴿ فَلَمَّا اسْتَمْتَشُوا مِنْهُ خَلَصُوا بِحَيَاتٍ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لىَ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَعْنَا بِكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْلَنَّا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٠-٨٢] فقرر الأخ الكبير أن يبقى في أرض مصر لا يرحلها ولا يغادرها وأمر إخوته التسعة بأخذ أحمالهم وجمالهم، والعودة إلى أبيهم وإخباره بتفاصيل ما جرى، ولما سمع الأب المفجوع (يعقوب عليه السلام) بما جرى لابنه الصغير، تذكر ما جرى لابنه الآخر (يوسف) قبل سنوات، وقد سجلت الآيات هذا المشهد ورد فعله، قال تعالى: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْلَنَّا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ

تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّفَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٣-٨٧].

أيها الأكارم! عندما أمرهم يعقوب بالعودة إلى مصر والبحث فيها عن يوسف وأخيه وقال لهم: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تياسوا من روح الله) فتوجه الإخوة التسعة إلى مصر للمرة الثالثة، ولكنهم ذاهبون هذه المرة بمهمة أكبر وهي مهمة البحث عن يوسف وأخيه، وتنفيذ ما كلفهم به أبوهم، ودخلوا مصر، واجتمعوا معه، وكان بينهم ما عرضته آيات هذا المشهد قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِضُنْعٍ مُرْجَلٍ قَافٍ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصَدَّقَ عَلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْ نَفْسٍ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِبِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقِمِيمٍ هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْزِلَ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ [يوسف: ٨٨-٩٢].

ولمّا كلموا يوسف أحس من كلامهم الانكسار والضعف، ولما استرحموه لمس فيهم مزيداً من المرارة والشكوى:

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُوجُنَا بِيضَعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ وهم الآن يسترحمون العزيز ويستعطفونه، ويرجونه أن يقبل البضاعة الرديئة وأن يبيعهم بها الحبوب، ولو لم تكن مناسبة ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

أيها المسلمون! آن الأوان أن يفاجئهم بالمفاجأة التي لا تخطر لهم على بال، إنهم لا يتوقعون أن الذي يكلمهم هو أخوهم وقد تبوأ من مصر مكاناً عزيزاً، لكن لا بد أن يخبرهم، لتنتهي رحلة آلامهم، فلم يشأ أن يفاجئهم بقوله: أنا يوسف أخوكم، حتى لا يصدّمهم، بل ترفق بهم، وذهب بهم إلى الماضي البعيد.. قبل سنوات وسنوات فقال لهم: ﴿هَٰذَا هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ عندها سألوا العزيز، وكلهم دهشة ومفاجأة وإثارة وانبهار: (أمنك لأنك يوسف)؟ وأسرع يوسف بالإجابة على سؤالهم ليريح أعصابه: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ نعم إنه يتقلب في منة الله ونعمه وعطاياه، بحيث أوصله ربه إلى منصب الحاكم الأول لمصر.

عباد الله! وفي هذه اللحظة يغتنم يوسف الحضيف الذكي مناسبة لتقرير حقيقة إيمانه، يعلل لإخوته المشدوهين السبب في إنعام الله عليه،

وفي إيصاله إلى ما وصل إليه فيقول: ﴿مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذه هي القاعدة الإيمانية الربانية التي قررها يوسف عليه السلام والتي علل بها سر توفيقه ونجاحه، لقد تحققت فيه صفات ثلاث أهلته لنيل فضل الله وإنعامه وهي: التقوى والصبر والإحسان، ولم تفارق هذه الصفات الثلاثة يوسف في أي مرحلة من مراحل حياته، فصاحبته هذه الصفات عندما كانت في بيت العزيز، وعندما راودته امرأة العزيز، وعندما راودته نسوة المدينة، وعندما أدخل السجن وعندما تعامل مع المساجين، وعندما دعاهم إلى الله.. كان في كل هذه المراحل والمواقف تقياً صابراً محسناً، وقد كافأ الله صبره وتقواه وإحسانه أحسن الجزاء في الدنيا، فصار في هذا المنصب الكبير ﴿مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. ثم بعد ذلك يعلن يوسف الكريم عفوهم عنهم إلى فتح صفحة جديدة للعلاقة به ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٢) إنه موقف كريم، لا يقفه إلا رجل عظيم محسن كريم، وإنه عفو وتسامح وصفح لا يقدر عليه إلا العظماء.

كلّف يوسف إخوته بالعودة إلى الأسرة، ومعهم قميصه لعودة بصر أبيه، ثم القدوم بالجميع إلى مصر، وسار موكب الإخوة عائداً إلى الأسرة، وسارت الخطة كما رسمها يوسف عليه السلام، وفي هذا الجو النفسي الكبير وجد يعقوب ريح يوسف، ولا تعرف كيف وجدها،

وكيف شهما، فإله أعلم بحقيقة الحال، وقد أعلنها يعقوب بصراحة للناس الذين معه في المنزل فقال لهم : (إني لأجد ريح يوسف) وبعد قليل تقع المفاجأة، وها هم الركب المسافرون يصلون، ومعهم قميص يوسف، وها هو البشير يلقي قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦] وفي هذا الجو من الفرح والسرور قال لهم أبوهم عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦] بعد ذلك أقبل الأبناء على أبيهم معتردين عن كل ما بدر منهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [يوسف: ٩٧] والآن اعترفوا بخطئهم وذنبهم ومعصيتهم، فأقبلوا على أبيهم معتردين مقرين، وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم، وأن يطلب من ربه أن يتجاوز عنهم: (استغفر لنا ذنوبنا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ).

أيها الأكارم ! ها قد اقتربت أحداث قصة يوسف عليه السلام إلى نهايتها، وها هو تأويل رؤيا يوسف قد اقترب، فلما عاد بصر يعقوب إليه، تجهزت الأسرة كلها للارتحال إلى مصر، تنفيذاً لأمر يوسف عليه السلام لإخوته: (وأتوني بأهلكم أجمعين) أخذ يعقوب عليه السلام أهله جميعاً، وسار الموكب الإيماني، ليستقروا جميعاً عند يوسف عزيز مصر، وتخيل كيف سيكون اللقاء بين الابن وأبيه بعد غياب قسري استمر سنوات عديدة؟!

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَيْنَ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] وهكذا اجتمع شمل الأسرة لكن في مصر، وهكذا استقر الأب والأم والأبناء وعائلاتهم، وبعدما زال عن الوالدين والإخوة وعشاء السفر، واستقروا في مصر حول يوسف عزيز مصر؛ ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠] أكرم يوسف أباه وأمه، فرفعهما وأجلسهما على عرش الملك وكرسي الوزارة، بينما وقف إخوته الأحد عشر أمامه. وخر الجميع له ساجدين: الأبوان والإخوة، سجدوا ليوسف عليه السلام وهو أمامهم، ولم يكن سجود الأبوين والإخوة سجود عبادة، وإنما تكريماً وتحية منهم ليوسف، ولما انتهى مشهد سجودهم بين يديه ، أقبل يوسف على أبيه قائلاً: ﴿ يَتَأْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠] تذكر يوسف الآن الرؤيا وما قاله لأبيه، وما قال أبوه له، ها هي الشمس، وها هو القمر، وها هم إخوته الكواكب الأحد عشر.

عباد الله! وبقيت لقطة الختام تخبر عن يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١] هذا الدعاء يختصر أهم الدروس المستخلصة منها، وكأن يوسف عليه

السلام في دعائه هذا يعلم كل مسلم أن يتمثل هذا الدعاء، وأن يجعله هدفاً له، وأن يختم به حياته على هذه الأرض.

أيها المسلمون! وهكذا يتوارى الجاه والسلطان، وتتوارى فرحة اللقاء، واجتماع الأهل ولمة الإخوان، ويبدو المشهد الأخير مشهد عبد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه الله، وأن يلحقه بالصالحين بين يديه، إنه النجاح المطلق في الامتحان الأخير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور

الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أحمده سبحانه وأشكره نعمه تترى وفضله لا يحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه. أما بعد:

عباد الله! في هذه السورة العظيمة، وقد ختمناها في هذه الخطبة دروس وعبر كثيرة، منها:

١- أهمية الدعوة إلى الله تعالى المبنية على العقيدة والتوحيد الصحيح
 لله رب العالمين التي اختطها يوسف عليه السلام ﴿قَدْ هَدَاهُ سَبِيلِي
 ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

٢- وفيها فضيلة التقوى والصبر والإحسان، وأن كل خير في الدنيا
 والآخرة فمن آثارها، وأن عاقبة أهلها آمن العواقب ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ
 عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

٣- ومنها أن الإخلاص لله تعالى أكبر الأسباب الواقية من الشرور
 ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّرَّ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

٤- ومنها أهمية التفاؤل في حياة المسلم ، التفاؤل الذي يبعث على الخير والأمل، فيوسف في كل مراحل حياته لم يفارقه التفاؤل، وأن يعقوب في أحلك الظروف لم يفارقه التفاؤل ﴿يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وهكذا يجب أن يرسمه المسلم في جميع خطوات حياته كي لا يقعده اليأس عن العمل والإنتاج.

٥- ومنها عدم الانهزام أو التنازل واستعجال النتائج واليأس، فيوسف ووالده لم يصبهم الاستعجال ولا اليأس ولا التنازل، وهذه الثلاثة إذا دخلت على الفرد أو الأمة أهلكتها.

٦- ومنها ضرورة العدل بين الأولاد وعدم تفضيل بعضهم على بعض بلا حق، فهو عامل من عوامل صلاح الأولاد وبرهم بأبيهم. ولهذا لما ظهر لإخوة يوسف من محبة يعقوب الشديدة ليوسف وعدم صبره عنه سعوا في أمر وخيم، وهو التفريق بينه وبين أبيه.

٧- ومنها أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، فلما ترك يوسف الحرام عندما عُرض عليه، بل ووقف في وجهه وقفة قوية، عوضه الله بملك عظيم وعاقبة حميدة.

٨- ومن الدروس أيضاً أنه ينبغي للعبد أن يتعد عن أسباب الفتن، ويهرب منها عند وقوعها، كما فعل يوسف حين راودته امرأة العزيز.

٩- وينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله عند خوف الوقوع في الفتن والمعاصي والذنوب، مع الصبر والاجتهاد في البعد عنها ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

١٠- وأن المسلم ينبغي له أن يقطع رجاءه عن المخلوقين ويعلق رجاءه وخوفه وشكواه إلى الله ﴿أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

١١- وليعلم المسلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً (١)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] ولذا لما اشتد الكرب بيعقوب قال: (ولا تيأسوا من روح الله).

١٢- ومنها الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، فكلما زاد إيمان العبد زاد بلاؤه، والأنبياء أشد الناس بلاءً.

١٣- ومنها أنه ينبغي للعبد أن يتضرع إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه ويعمل الأسباب لذلك: يسأل الله حسن الخاتمة وتمام النعمة، ويتوسل بنعمه الحاصلة إلى ربه أن يتمها عليه ويحسن له العاقبة كما قال يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٨٠٨) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ [يوسف: ١٠١]

١٤- ومن أعظم الدروس فضيلة العفو بعد المقدرة، فعلى المسلم أن يكون سمحاً مع إخوانه عفواً عنهم، لا يؤاخذهم بزلاتهم، ولا يتبع سقطاتهم، فالعفو خصلة الأنبياء، ولذا من الله تعالى على يوسف بسبب حسن عفوهِ عن إخوته، وأنه عفى عما مضى، ووعد في المستقبل أن لا يشرب عليهم، ولا يذكر منه شيئاً؛ لأنه يجرحهم ويحزنهم ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٩٢].

أيها المسلمون! هذه بعض الدروس التي اشتملت عليها هذه القصة، فإن فيها بيان سبيل نجاة الأمة؛ لتخرج أمتنا من البلاء الذي هي فيه وتحقق النصر، وأن تأخذ من منهج القرآن وتنهل من معينه، وأن تتمسك بالأصول والمنطلقات التي أخذ بها يوسف عليه السلام؛ فحقق هذا النصر العظيم، وما من فرد أو أمة تأخذ بأسباب الانتصار التي أخذ بها يوسف، إلا كانت العاقبة حميدة، وتحقق الانتصار العظيم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١﴾ [يوسف: ٢١].

فاعملوا عباد الله بهذه الدروس العظيمة لتنالوا أجرها وعاقبتها
في الدنيا والآخرة، ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل
وعلا في كتابه الكريم فقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

وقفات مع قصة يوسف عليه السلام (٥)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: عباد الله! فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا أن أجسادكم على النار لا تقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله! ما زال الحديث عن قصة يوسف عليه السلام، نهل من معين خيرها ونتفياً ظلالها ونستفيد من دروسها قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

عباد الله! وعندما دخل إخوة يوسف عليه السلام، تعامل معهم بأخلاق النبوة، واستقبلهم وأكرمهم دون أن يعرفهم على نفسه، وعرف منهم أن لهم أخاً صغيراً، وهو أخ من أبيهم، ولما عرف هذا منهم أراد أن يحضروا أخاهم الصغير: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْتُمْ مِّنْ أَيْكُمُ إِلَّا تَرَوُنَّ أُنًى أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩] وطمأنهم بأن أخاهم

الصغير سيكون في أمان في مصر؛ لأنهم سينزلون في ضيافته، وهو يكرمهم في نزلهم؛ لأنه خير المنزلين المضيفين، وبعد أن رغبتهم بإحضار أخيه، هددهم بأنهم إن لم يأتوا به، فلن يجدوا الطعام ولا الكيل - ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُوا بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠] لقد فوجئوا بطلب عزيز مصر، وفوجئوا أكثر بتهديده لهم؛ لأنهم يعرفون صعوبة تنفيذه، فأخوهم الصغير أثير عند أبيهم يعقوب عليه السلام، وأبوهم لا يأتئهم عليه، بعد جريمتهم ضد يوسف، ولهذا أجابوا قائلين: ﴿قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْ آبَاءِ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ [يوسف: ٦١] وأراد يوسف عليه السلام إغراءهم بالعودة ومعهم أخوهم، فأعاد معهم بضاعتهم ضمن ما حملهم من الحبوب: ﴿وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمَا فِي رِحَالِهِمَا لَعَلَّهُمَا يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمَا لَعَلَّهُمَا يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، وكان الإخوة قد أحضروا معهم بضاعة من متوجات أرضهم، يشترون بها القمح والحب من مصر، فأمر يوسف غلمانه بدس البضاعة التي أحضروها بين الحبوب التي حملوا بها جمالهم، والهدف من ذلك هو أن يعرفوا عند تفريغ أحمال الجمال أنهم لم يدفعوا ثمن الحبوب التي أخذوها من العزيز، فها هو العزيز يعيد لهم بضاعتهم ويعطيهم الحبوب مجاناً، وهذا يدعوهم إلى العودة إلى مصر، لأخذ أحمال أخرى، ويبدو أن يوسف عليه السلام دفع ثمن الجمال العشرة التي حملها لهم من

حسابه، بعد أن أعاد لهم بضاعتهم ضمن الحبوب!! وأراد إكرام أهله بذلك!!

أيها المسلمون! عاد الإخوة بالحبوب إلى أبيهم، ومع كلٍ منهم حمل بغير من الحبوب، وكانوا معجبين بحسن ضيافة عزيز مصر لهم، ولكنهم كانوا متأثرين لطلبه منهم إحضار أخيه معهم، ويخشون أن لا يوافق أبوهم على ذلك، وما كانوا يعلمون أن عزيز مصر قدم لهم أحمال جمالهم من الحبوب مجاناً، وأنه لم يأخذ أثمانها، وأنه أمر بدس الأثمان داخل الأحمال والرحال، فلما وصلوا إلى أبيهم، بدؤوا يفكرون في طريقة إقناعه، بالموافقة على إرسال أخيه معهم، ودونكم أيها الإخوة مشهد مرادتهم لأبيهم: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَّكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۖ ﴾ [يوسف: ٦٣] قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ قَالَ لَا ۚ خَيْرٌ حَفِظْتُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۖ ﴾ [يوسف: ٦٤-٦٣].

عباد الله! ولما دخل الأبناء على أبيهم، سارعوا بإخباره بالخبر المزعج: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَّكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۖ ﴾ [يوسف: ٦٣] ، لكن كلامهم لأبيهم أثار في نفسه كوامن الحزن على يوسف واللوم لفراقه، وتذكروا ما قالوا له سابقاً عندما أخذوا يوسف، وظن أنهم سيعيدون الكرة من جديد،

فصارحهم بقوله: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾^١ لكن رد على تعهدهم بحفظ أخيهم بقوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وقد كان هذا الحوار بين يعقوب وبين أبنائه فور قدومهم من السفر، وقبل أن يفكوا أحمالهم، ويروا أمتعتهم ولما يأخذوا من أبيهم موافقة على إرسال أخيهم معهم، ففوجئوا: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ ولما فتحوا المتاع، ونظروا في الحبوب التي أحضروها، فوجئوا ببضاعتهم مع الحبوب، ولم يكن عندهم علم بأن عزيز مصر -يوسف- قد أمر غلمانه بوضع بضاعتهم وسط الحبوب! ولم يأخذ منهم الثمن! وقد فوجئ أبوه أيضاً برد البضاعة! (ورقة) ضغط أخرى عليه، ليوافق على إرسال أخيهم معهم، فقالوا له: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥]، ولهذا نجح الإخوة في إقناع أبيهم بالموافقة على إرسال أخيهم معهم وليس أمامه إلا الموافقة، لكن موافقته كانت مشروطة: ﴿قَالَ لَن أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنِّي أَلَّا يَخَاطِبَكُمْ﴾ أي: لا بد من التوثيق باليمين المغلظ والقسم المؤكد بالله، ليكون هذا عهداً ملزماً لهم، وموثقاً يقيدهم (إلا أن يخاطب بكم) بأن ينزل بكم بلاء ليس بالحسبان، فتعجزوا عن حفظه وإعادته، عندها لا تثريب عليكم.

عباد الله ! وقبل أن يتوجه الإخوة الأحد عشر إلى مصر، ومعهم بضاعتهم، قَدَّم لهم أبوهم نصيحة تتعلق بكيفية دخولهم مصر: ﴿وَقَالَ يَبْنَئُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ وهنا وقفة: وهي أن استعمال الأسباب الواقية من العين أو غيرها غير ممنوع بل جائز أو مستحب بحسب حاله، وإن كانت جميع الأمور بقضاء الله وقدره، لكن الأسباب الواقية من قضاء الله وقدره، تشترط بأن يفعلها العبد وهو غير معتمد على سببها لأن يعقوب عليه السلام حين أراد أن يوصي بنيه لما أرسل بنيامين معهم قال: (وما أغني عنكم من الله من شيء) [يوسف: ٦٧].

والشريعة جاءت بإثبات الأسباب النافعة الدينية والدنيوية، والحث عليها مع الاستعانة بالله، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: (أحرص على ما ينفعك واستعن بالله). ^(١)

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٨٢) في سننه في كتاب النبي (ص) باب في القدر واللفظ له. وأخرجه الإمام أحمد برقم (٨٧٢٦) في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن على نهجهم سار واقتفى.
أما بعد:

أيها المسلمون! ولما دخل الإخوة على عزيز مصر، وقعت أحداث مثيرة، لم يكونوا يتوقعونها، ولم يحسبوا لها حساباً، بل فوجئوا بها مفاجأة مدهشة ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١) [يوسف ٦٩] وأحسن استقبالهم في زيارتهم الثانية له، لا سيما أن معهم أخاه الصغير الذي طلب إحضاره، تبدأ آيات هذا المشهد بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١)، بدأ يوسف بالمعاملة الخاصة مع أخيه فور استقباله له، وفعل ذلك ليصارحه بالحقيقة، وليقول له: إنني أنا أخوك، أنا يوسف الذي فعل إخوتك بي ما فعلوا قبل سنوات، وها قد من الله عليّ بأن أكرمني، وجعلني حاكم مصر وإخوانك لا يعلمون أنني يوسف الذي ألقوه في غيابة الجب وهو صغير، ليتخلصوا منه.. عرف الأخ الصغير أن عزيز مصر الذي أمامه هو أخوه المفقود يوسف، فكتم هذا السر عن باقي إخوته، واحتفظ به

لنفسه، وأمر يوسف غلمانه بتجهيز إخوته الأحد عشر، ووضع حمل حبوب على بعير كل منهم.
عباد الله!

وذهب يوسف عليه السلام إلى رحل أخيه الصغير، ودون أن يراه أحد من الغلمان أو الإخوة، فتح الرحل ووضع (السقاية) فيه، بين الحبوب، وأغلق الرحل وأعاده كما كان!! قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَمَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠] وعندما همَّ الإخوة بالذهاب، وقد حملوا جمالهم وتأهبوا للعودة إلى أهلهم، فكر غلمان العزيز: أين السقاية؟؟ إنها غير موجودة!!، وفتشوا عنها فلم يعثروا عليها، لقد سُرقت إذن! فنادى الغلمان الموظفون على الركب المغادرين، وفاجؤوهم بالاتهام: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

أيها المسلمون!

فوجيء الإخوة الأبرياء بهذا الاتهام الصريح، والتفتوا نحو غلمان العزيز: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (يوسف: ٧١) فأجابهم الغلمان قائلين: ﴿تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ التي كلنا لكم بها الحبوب، والتي سرقتها وأخذتموها، وتمضي الأحداث المثيرة بالتسلسل والتدرج، فيبدأ الغلمان بالترغيب والترهيب والحث على

تسليم المسروق، حيث أعلنوا عن جائزة ثمينة لمن يعيد صواع الملك: ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حُمِلَ بِهِ وَأَنَّى لَهُ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢] ، ورغم أن الجائزة ثمينة، لكن الإخوة لم يقبلوها، لا لشيء إلا أنهم ليسوا سارقين منهم، يوقنون أنهم أبرياء من التهمة، ولهذا ردوا على الغلمان في الحوار المثير ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣) [يوسف: ٧٣] حلفوا بالله أنهم لم يسرقوا- وهكذا عباد الله- لم ينفع أسلوب الحث والترغيب مع القوم، ولهذا لجأ الغلمان الفتيان إلى الأسلوب الآخر وهو أسلوب التفتيش والمحاكمة، وأوعز يوسف إلى فتيانه ليسألوا الرجال: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤) [يوسف: ٧٤] فأجاب القوم قائلين: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥) [يوسف: ٧٥] أي: عقوبة السارق في شريعة أبينا يعقوب النبي أن يأخذ صاحب المتاع المسروق الشخص الذي سرق، ليكون عبداً رقيقاً له مقابل ما سرق، وما كان الرجال يتوقعون أن يكون صواع الملك في رحل أخيهما الصغير! وأخيراً: وقعت المفاجأة المذهلة، التي فاجأت القوم فأذهلتهم وصدمتهم، فهذا هو يوسف يفتش متاع أخيه الصغير وكان بدأ بتفتيش أمتعتهم قبل متاع أخيه، وبينما هو يقلب المتاع إذا به يخرج السقاية من المتاع، إذن فهذا الأخ الصغير سارق، فهو الذي سرق السقاية، فوجيء الإخوة بما حصل فيها هو

أخوهم الذي تعهدوا لأبيهم بحفظه، وحلفوا له الأيمان أن يعيدوه سالمًا، ها هو يضبط متلبسًا بالسرقة... والآن سينفذ فيه الحكم الذي ارتضوا تنفيذه على السارق، وسيعاقب وفق شريعة أبيه، أي أنه سيؤخذ الآن عبدًا للعزيز، ولن يعود معهم إلى أبيهم!

عباد الله! وتترك الآيات الإخوة وسط الدهشة والصدمة والانفعال لتقدم لنا تقريراً عن حكمة الله من تقدير هذه الحادثة المثيرة ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الْيُوسُفُ مَا كَانَ لِأَخِي أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] إن الله هو الذي كاد ليوسف عليه السلام، وأرشده إلى هذا التدبير الحكيم ليتم قدر الله في النهاية، وقد أثنى الله على حكم يوسف وتصرفه وعلمه، وأخبر أن الله رفعه عنده درجات في العلم والفضل والمنزلة ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] وللحديث بقية.

وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قصة يوسف عليه السلام (٤)

الخطبة الأولى

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى،
أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى
آله وأصحابه وأتباعه ومن سار على نهجهم واهتدى، أما بعد:
عباد الله!

كنا في الجمعة الماضية في مجلس الملك، وقد رأى رؤيا
أهمته، فهو يطلب تأويلها من رجال الحاشية، ومن الكهنة والمتصلين
بالغيبات: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ
سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَأْسِتُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُ لِلرُّءْيَا نَبِيًّا﴾ [يوسف: ٤٣-٤٤]. وهنا
فوجيء "ساقى الملك" بعجز الملاء عن تأويل رؤيا الملك، فتذكر
صاحبه السجين "يوسف" بعد هذه السنين، وعلمه بتأويل الرؤى، لأنه
أول له رؤياه وصح تأويله، وها هو الآن يسقي الملك - فطلب من الملاء
إرساله إلى يوسف، يعبر الرؤيا للملك! قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا
وَاذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ أَنَا أَنْتُكُمْ يَتَأَوَّلُهُمْ فَارْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥] ومعنى (اذكر)

أي تذكر بعد نسيان، تذكر يوسف في السجن، وعلمه الصادق بتأويل الرؤى.

عباد الله! ويسدل الستار هنا، ليرفع في السجن على يوسف وصاحبه هذا وهو يستفتيه : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦] .

ومن كمال أخلاق يوسف الكريم أنه لم يعاتب هذا الذي وصاه بأن يذكره عند ربه فنسي، وجاءه يسأله عن رؤيا الملك، فأجابه ولم يعاتبه أو يعنفه، ولا عجب فهذه أخلاق الأنبياء التي جعلتهم قدوة لمن بعدهم في ذلك.

أيها المسلمون! وقد عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك بقوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (١٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (١٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (١٩) [يوسف: ٤٧-٤٩] فسر يوسف عليه السلام وزادهم مع التفسير حسن العمل بها وحسن التدبير، فأخبرهم أن البقر السمان والسنابل السبع الخضر، وهي سنون رخاء وخصب متواليات تتقدم على السنين المجذبات، وأن البقر العجاف والسنابل اليابسات سنون جذب تليها، وأن بعد هذه السنين المجذبات عاماً فيه يغاث

الناس، وفيه يعصرون، وأنه ينبغي لهم في هذه السنين المخصبات أن ينتهزوا الفرصة، ويعدوا العدة للسنين الشديداً، فيزرعون زرعاً هائلة أزيد بكثير من المعتاد، ولهذا قال: (تزرعون سبع سنين دأباً) أي أراد منهم أن يزرعوا زرعاً كثيرة ويبدلوا قواهم في كل ما يقدر عليهم، وأنهم يحتاطون في الغلات إذا حصدت بالتحصين والاقتصاد، فقال: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧] أي اجعلوا الحاصل من الزرع محفوظاً يسلم به من الفساد والسوس بأن يبقى في سنبله، ويقتصدون في هذه المدة مدة الرخاء، فلا يسرفون في الإنفاق، بل يأكلون القليل ويحفظون الكثير، وإن بعد هذه السنين المخصبات سيأتي عليكم سبع سنين مجدبات شديداً، وأنها تأكل ما قدم لها مما حفظ في سنين الخصب إلا قليلاً مما تُحصنون.

عباد الله! ونلاحظ في تأويل الرؤيا أن يوسف عليه السلام لم يكتف بمجرد تأويلها، بل إنه قدم للملك والنظام النصائح النافعة والتوجيهات السديدة لحسن التصرف، ويضع لهم الخطة المتكاملة لمواجهة الشدائد القادمة عن طريق - خطة سبعة - اقتصادية مالية زراعية بجانبها: الإيجابي والسلبي! وهذا فيه إشارة أن يوسف في بعد نظره وتخطيطه المستقبلي للأحداث، قد أدار الأمور بحكمة عجيبة وسياسة رائعة في سبع الرخاء، والاستعداد لل سبع الشداد، فمرت الأمور بسلام، ولم يصب الأمة ما قد يتوقع ويحدث من مكروه.

أيها المسلمون! وهنا ينتقل السياق إلى المشهد التالي، ويرفع الستار مرة أخرى على مجلس الملك، ويحذف من السياق ما نقله الساقى من تأويل الرؤيا، وما تحدث به عن يوسف الذي أولها، وعن سجنه وأسبابه ، والحال التي هو فيها، كل ذلك يحذف من السياق ولا يرى في المشهد، لنسمع النتيجة من رغبة الملك في رؤيا يوسف وأمره أن يأتيه به: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاودْتَنِّي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ مَا عُلِّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ أَفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الضَّالِّينَ ٥١﴾ [يوسف: ٥٠-٥١].

لقد أعجب الملك بتأويل يوسف، وطلب إحضاره إليه، ولكن يوسف رفض الخروج من السجن بعفو هذا الملك، وطالب الملك بإعادة بحث القضية من جديد، فأعاد الملك المحاكمة، وأتى بالشهود، فقدمت النسوة شهادتهن ببراءة يوسف، واعترفت امرأة العزيز بأنها هي التي راودته عن نفسه، وأنه عفيف طاهر، هكذا ثبتت لهم براءة يوسف، وحكموا بأنه بريء، وبهذا تنتهي هذه المحنة الأخيرة في حياة يوسف - عليه السلام - ، محنة السجن، حيث ستأتي المنح والنعم والعطاء بعد ذلك: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاودْتَنِّي يَوْسُفَ عَنْ

نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ [يوسف: ٥٠-٥٣].

عباد الله! وبعدها انتهت المحن التي قدرها الله على يوسف، والتي كانت تمهيداً لمرحلة المنح والعطايا الربانية حيث كانت إعداداً له لهذه المرحلة، نحن الآن وإلى آخر لقطات قصته مع يوسف عليه السلام وهو يتعامل مع المنح والعطايا بنجاح.

أيها المسلمون! لقد تبين للملك براءة يوسف، وتبين له معها علمه في تفسير الرؤيا، وحكمته في طلب تمحيص أمر النسوة، وكذلك تبين له كرامته وإباؤه، فهو لا يتهافت على الخروج من السجن، ولكن يقف وقفة الرجل الكريم المتهم في سمعته، المسجون ظلماً يطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه، وكل أولئك أوقع في نفس الملك احترام هذا الرجل حين قال (اثتوني به أستخلصه لنفسي) [يوسف: ٥٤] أي يطلبه ليجعله بمكان المستشار والصديق الخاص المؤتمن، فلما كلمه تحقق له صدق ما توسم، فإذا هو يطمئنه على أنه عند الملك ذو مكانة وأمان ﴿قَالَ إِنَّكَ آلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] فرد يوسف على تكريم الملك له قائلاً: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ [يوسف: ٥٥] لقد طلب يوسف من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، أي أن يكون مسؤولاً عن الخزائن والأموال والتموين والاقتصاد في المرحلة القادمة، وأخبر الملك عن مؤهلين من مؤهلاته لهذا المنصب: (إني حفيظ عليم) أي يحفظ الأمانة والعهد والمال والدخل، ويملك من العلم والخبرة ما يعينه على أداء هذه المهمة الخطيرة، لقد أراد يوسف أن يكون على خزائن الأرض؛ ليقوم على خدمة الناس، ولم يكن يوسف يطلب ذلك لشخصه، وإنما أراد ذلك ليحسن إدارة أمور البلاد الاقتصادية والمالية في سنوات المحنة القادمة، ولقد استجاب الملك لطلب يوسف، فجعله على خزائن الأرض طيلة السنوات الخمس عشرة القادمة.

عباد الله : وهكذا مكنَّ الله سبحانه ليوسف في الأرض، وعوضه عن المحنة بمنحة ومكانة في الأرض، وهذه البشري جزاءً وفاقاً على الإيمان والصبر والإحسان ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ بَنِيَّاءَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦-٥٧].

فاتقوا الله عباد الله واستغفروه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الوهاب، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، العظيم التواب، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى الآل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم وسار على نهجهم الصواب. أما بعد:

عباد الله! وبعدما استلم يوسف عليه السلام منصب عزيز مصر، وتوارى الملك إلى الظل، صار يوسف هو الحاكم الفعلي للبلاد، وأدار يوسف البلاد في سنوات الخصب والرخاء السبعة، واستفاد من خصب هذه السنوات، وأقبل الشعب على الزراعة الرعوية كل سنة، ثم مضت كل سنوات الخصب، وأقبلت سنوات الجذب السبعة، وأثر القحط على المزروعات وأصاب الناس الجوع والفقر، وأحسن يوسف اجتياز خطر الجوعة والمجاعة بفضل الله وحكمة إدارته، وفي هذا الجو قدم أولاد يعقوب عليه السلام إلى مصر التي هي بلاد يوسف ووصلوا مصر ودخلوا على عزيز مصر وطلبوا منه الطعام قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَاءُ تَرُونَ أَتَى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٥٩ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠ قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهٗ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَعَلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٦٢﴾ [يوسف: ٥٨-

[٦٢]. ولما دخل إخوة يوسف العشرة عليه عرفهم؛ لأنهم إخوة كبار، وهو يعرفهم لما كان مقيماً معهم في الأسرة، أما هم فلم يعرفوه، ونقف هنا على مظهر من حصافة يوسف وكياسته عليه السلام؛ حيث لم يكشف لإخوته عن هويته، ولم يُعرفهم على نفسه، ولم يذكرهم بجريمتهم النكراء، ولم يقل في نفسه: جاء الآن دور الانتقام والثأر والقصاص! ولم يأمر بالقبض عليهم ولا بسجنهم ولو فعل ذلك بهم لما عاتبه أو أدانته أحد؛ لأنهم فعلوا به ما فعلوا!!

أيها المسلمون! بهذه الأخلاق النبوية الراقية استعلى يوسف على آلامه وأحزانه وجراحه، وتخلص من الحقد والتشفي والانتقام، وأحسن إلى من أساءوا له، فهلا استفدنا - يا عباد الله - من هذه الوقفة في تعاملنا مع من أساءوا إلينا، هل بادرنا بالعتو عنهم بل والإحسان إليهم حتى ننال ما عند الله من الأجر العظيم والفضل الكريم.. ولماذا؟! لأنه ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

نعم - عباد الله - لقد تعامل يوسف عليه السلام مع إخوته بأخلاق النبوة؛ ليكون مثلاً رائعاً يحتذى به في تعاملنا مع أصناف البشر الذين قد بدرت منهم إساءة أو زلة، بأن نكون سباقين إلى الخير وإلى العفو عنهم بدلاً من أن نكون مثلهم في سلوكهم، فعامل الناس بأخلاقك لا

بأخلاقهم!... ولكن ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

هذا وصلوا على نبيكم كما أمركم الله جل وعلا بقوله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الجزء الثالث	٥
التوحيد وتطبيقه العملي	٦
مظاهر ضعف التوحيد وأسبابه وعلاجه	١٥
من مقتضيات العقيدة: التوكل على الله	٢٢
الخوف من الله	٣١
من مقتضيات العقيدة: الدعاء	٤١
من مقتضيات العقيدة: الرجاء	٥٠
من مقتضيات العقيدة: الشكر	٥٩
من مقتضيات العقيدة: الصبر	٦٧
استشعار عظمة الله	٧٧
صلاة التطوع	٨٥
مبطلات الصلاة ومكروهاتها	٩٧
التعامل المالي وآدابه	١٠٦
التحذير من الربا	١١٨
الإحسان	١٢٨
التقوى	١٣٧
صفات المتقين	١٤٨
التبرج والسفور	١٥٧
وقفات مع الإجازة الصيفية	١٦٥

الموضوع	الصفحة
التفريط في عمل اليوم والليلة	١٧٣
أسباب الانحراف وعلاجها	١٨٢
الأزمة الحقيقية	١٩٥
ألا إن نصر الله قريب	٢٠٤
إن الله لا يحب المفسدين	٢١٦
وقفات مع أحداث الاستهزاء بالنبي ﷺ	٢٢٨
وقفات مع أحداث فلسطين	٢٣٨
أحداث الرس ووقفات وتأملات	٢٥٠
الظواهر الكونية وعلاقتها بالعبادة	٢٥٨
وقفات مع نزول الأسهم وكثرة الغبار	٢٧١
فتح مكة	٢٨٥
مع قصة يوسف عليه السلام - ٦ -	٢٩٤
وقفات مع قصة يوسف عليه السلام - ٥ -	٣٠٧
قصة يوسف عليه السلام - ٤ -	٣١٦